

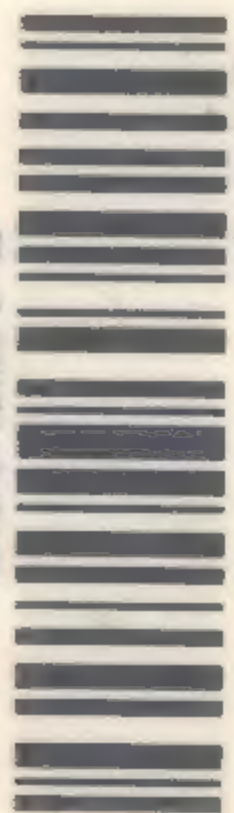
كتب ثقافية



قصة حياة طاغور

بمعلم
مبيل تكل

0157460



مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

Bibliotheca Alexandrina

قصة حياة طاغور

بمناسبة مرور مائة عام على مولده

ميشيل تكل

الأهداد

الى ناصر العهد الحاضر

جمال عبد الناصر...

مراجع هذا الكتاب

(١) حارس الشرق	دورلاب ستغ
(٢) رجال وذكريات	وليم روثستين
(٣) مائة من الاعلام	طبعة أود هامس
(٤) أفكار من طاغور	طبعة ماكيلان وشركاه
(٥) قصص لطاغور	، ، ،
(٦) قربان الاغاني	رابندرانات طاغور
(٧) البيت والعالم	، ،
(٨) الطيور المائمة	، ،
(٩) ذكريات	، ،
(١٠) السادهازا	، ،
(١١) الشخصية	، ،
(١٢) الصخور الجائعة	، ،
(١٣) الزنايق الحمراء	، ،

يتقدم مؤلف هذا الكتاب بوافر شكره إلى الكاتب الهندي الكبير
دورلاب ستغ وذلك لسماحه له بنشر بعض ما جاء في كتابه « حارس
الشرق ، طاغور » .

شاعر من الغرب وشاعر من الشرق !

يتحدث الشاعر الأيرلندي الكبير وليم بطلريرتس في مقدمة له
لكتاب الاغانى لطاغور فيقول :

« قلت لطبيب بنغالى منذ أيام ، أنا لا أجد الألمانية ، ولكن إذا
كانت هناك ترجمة لشاعر ألماني هزت كياني فلا بد أن أجا إلى المتحف
البريطاني لأبحث عن كتب بالانجليزية تسرد لي قصة حياة هذا الشاعر
الألماني العظيم وتاريخ فكرة .. ولكن هذه التراجم لشعر رايندرانات
طاغور قد أثارت فؤادي ، وهزت كياني هزاً ، فلا يهمني أن أعرف
شيئاً عن تاريخ حياته وحركات الفكر التي خفها ..

فقال البنغالى - أنا أقرأ لطاغور كل يوم .. فقرأه سطر واحد من
شعره ينسبك متاعب الحياة ..

قلت - إن شعر طاغور سهل ميسور فاللهضة الجديدة قد ولدت
في بلادكم وما كنت أعلم عنها لو لم أقرأ لهذا الشاعر العظيم ..

قال البنغالى - عندنا شعراء آخرون ولكنهم لا يضارعونه متانة
وقوة .. ونحن نسمى عصره « حقبة رايندرانات » ..

لم أسمع عن شاعر أوروبي اشتهر كطاغور : إنه عظيم في الشعر والموسيقى يترنم الناس بأغانيه من غرب الهند إلى بورما وأينما ينطقون البنغالية، كان مشهوراً منذ حدوثه عندما كتب أول رواية له ومسرحياته لاتزال تمثل على مسارح كلكتا - اننى أعجب وأشيد بكل حياة هذا الرجل العظيم . عندما كان صغيراً كتب كثيراً عن الأشياء الطبيعية ، كان يجلس طوال يومه في الحديقة يفكر ويفرض الشعر . . ، ومن عامه الخامس والعشرين إلى الخامس والثلاثين مرت به أحزان كثيرة فكتب شعرا هو أجمل ما كتب في شعر الحب والهيام بلغة بلادنا ..

ثم استطرد الطبيب البنغالى متأثراً : إن الكلمات لن تستطيع أن تصف ما كنت أدين به لشعره العظيم وأنا في عامي السابع عشر .

ثم نما أدبه نموا عظيماً في الناحيتين الدينية والفلسفية . . كل أشعاره ملبسة بالعظمة والخلود . هو أول قديس عرف معنى الحياة فتحدث عنها في الصميم . . وهذا هو السبب الذى من أجله نحبه ونعشقه .

ولقد تفتحت عينا طاغور وهو صبي على الكتب والموسيقى التى كانت تملأ بيت أبيه .

وتحدث إلى كثير من بلاد الهند عن طاغور وعن أبيه الماهاريشى الذى كان يقضى يومه فى تأمل صامت ، يدقق فى جمال آيات صنع الله . وعن عائلته العريقة التى أخرجت رجالاً عظماء كانوا بمثابة النور لبني جلدتهم . وعن أخوته الفلاسفة منهم والفنانين كنت ألاحظ أن فى فكر

هؤلاء الناس وهم يتحدثون عن طاغور جمالا خفيا لمعانى الحياة كأنهم
قد تأثروا لنيته الفيلسوف الألماني العظيم وهم في الحقيقة قد تأثروا
بشاعرهم وفيلسوفهم طاغور .

* * *

لقد حلت ترجمة كتابه الاغانى . لعدة أيام وأنا أقرأها في زحمة
القطار والسيارة والمطعم وكنت كثيرا ما ألقيا جانبا حتى لا يظن بي الناس
الظنون وأنا أهتز طربا ونشوة . هذه الاشعار العظيمة التي لعبت دورا
كبيرا في تطوير الفكر الهندي لما احتوته من غزارة المادة ، وبراعة
الاسلوب ، وقوة الانشاد قد أثرت أيضا في تفكيرى بل هى نفس
الاحلام التي كانت تراودنى طول حياتى .

لانه عمل رفيع ممتاز ، ولابداع وبيان وخلق جديد يجمع بين الدين
والادب ويسير عبر الاجيال ينصت الى هذا وذاك ، ويقتبس من
العالم والجاهل ، وينقل كل ذلك الى الجرع . .

إذا ظلت حضارة البنغال مزدهرة ، فالفضل فى ازدهارها يرجع
الى طاغور الفيلسوف العميق الذى كتب لكل الطبقات ، وستظل كتابته
على مر الاجيال نورا يهدى ومشعلا يضيء . .

وطاغور مثل شوسر يكتب الموسيقى بالكلمات . . وأشعاره هذه
لن تحبس بين أغلفة الكتب ، تقرأها النساء ويلقينها جانبا فى تراخ
ويتأوهن على حياة بلا معنى ، أو يحملها الطلاب فى الجامعات ليتركوها

جانبا عندما تستبد بهم مشاغل الحياة ، ولكن عندما تمر القرون ،
وتتوالى العصور ، فإن أهل الارض سينغنون بها وهم يسرون في طرق
الحياة ومسالكها ، أو يمشون بقواربهم عباب الانهار والبحار .

حتى العشاق سيجدون في أشعار طاغور الحب الاصيل ، والامل
في تجديد العاطفة ، والهاب الشعور . ففي كل لحظة من لحظات العمر
يفيض قلب الشاعر بموسيقى عذبة وانغام شجية .

العالم الذى بصفه طاغور والحضارة التى تتحدث عنها أشعاره
في تخيلاته ليست غريبة عنا بل مألوفة لنا نحن الشعراء ...

يقول طاغور : « ما أنذا منطلق في رحلتى ... »

« فوداعا يا أخوانى ،

« ساعة الرحيل قد حانت ،

« وها أنا أسلمكم مفاتيح بابى ... »

« اليوم قد جاء وانطفأ المصباح الذى كان ينير ظلام بيتى ،

« ونادانى صوت من بعيد ... » « أن استعد للرحيل ... »

طاغور هو الفكرة الهندية اقتنع بطاقة الروح فسلم نفسه للقدر ...

استمع إلى طاغور وهو يقول :

« يرمقنى الرجال وهو عائدون إلى بيوتهم ويبتسمون ثم يعيروننى ...

وأجلس أنا كالسائل الذى يغطى وجهه بردائه وعندما يسألوننى ماذا

أريد؟ أطرق بعينى إلى الارض ولا أجيب ،

ليس في آداب العالم أروع من أدب طاغور فالبساطة والبراءة
لا يجدهما الإنسان إلا في أدب طاغور . . . أدب طاغور يجعل الطير
والأغصان تقترب اليه في حنان كأنها تداعب الأطفال وكثيراً ما كنت
أسأل نفسي من أين جاء طاغور بكل هذا ، هل أتى به من أدب البنغال
أم من الدين ؟ الحق يقال أن طاغور معجزة عصره ، وأعجوبة زمانه ،
سر مغلق لم تبج به الأيام بعد . . .

مولد عبقرى جديد

من هو طاغور ؟

هذا هو السؤال الذى يجيب عليه رجل الشاعر الهندي بقوله : طاغور ..
شاعر هندي أصيل ، وفيلسوف ومعلم ، ووطني من الطراز الاول ،
استطاع خلال نصف قرن من الزمان أن يلهب شعور مواطنيه ، المتعلمين
منهم ، وانصاف المتعلمين والجهلة أيضاً ، وأن يعلمهم كيف يجب أن يعيشوا
أحراراً بفطرتهم . . .

ويجيب كذلك على نفس السؤال فئة من أصحاب الفكر بقولهم
: طاغور . أكثر من وطى وأكثر من شاعر مطبوع . لم يكن رائداً ملها
فحسب ، أو فيلسوفاً مجدداً ، أو فناناً ممتازاً ، بل كان نبياً ورسولاً
للإنسانية المعذبة ، جاءها برسالة الحب والسلام والحرية ، .

أما السير ب . س . راى فيقول : طاغور . الابن الاعظم للهند الام ..

كان عبقرىا لانه ترك طابع عبقرية فى كل شىء امتدت اليه يده من شعر
ونثر وأدب وبعث قومى ...

كانت موهبته فى فرض الشعر سماوية ولاشك ، ممتازة بلا نزاع ،
فريدة من غير جدال ، أبرزته على سائر شعراء عصره ، وجعلته
فى طليعتهم ... كما أن قدرته العظيمة على التفكير المنطقى السليم ، وحب
العميق للموسيقى ، وشغفه بجمال الطبيعة ، كل هذه كانت مؤهلات ومسببات
جعلت منه أحد عظماء عصره ونصرنا ، هذا الحديث لم يكن طاغور
مرهف الحس ، ملتهب العاطفة رفيق المشاعر فحسب ، بل كان عالما
بواطن الامور وبأسرار الحياة . كان يستطيع أن يتعمق فى سر
فى حنايا ما يحيط به من أشياء ، ويكشف بعد قليل من التأمل عن جمالها
وحقائقها فى أشعاره الخالدة . ولعل أغانيه هى أصدق أثر لوطنيته النادرة ،
ونور كاشف قوى للروحانية فى أسمى معانيها . ولقد ترجمت أشعاره
وأغانيه الحماسية إلى جميع اللغات الحية وذلك لقوتها وعظمتها وخلودها
وروعها ...

هناك عاملان أساسيان يجب التعرف عليهما عند دراسة حياته وشخصية
طاغور ذلك الرجل الفذ الجبار والعلاق الذى سجل له التاريخ صفحات
من المجد والفخار . وجعل اسمه من نار ونور . أولها أنه كان مولعا ومغرما
بجمال الطبيعة منذ طفولته السعيدة التى أهلته لأن يفرض الشعر ويفترق
من بحوره ومناهلها . وثانيهما أن الفرص النادرة واثته وهو فى المهد .
أى أنه ولد وفى فمه ملعقة من ذهب ، أهلته هذه الفرص على أن يشق

طريقه نحو المجد بسرعة وبنظام رتيب قد لا تمنحهما الحياة إلى أمثاله من عظماء الرجال الذين يشقون طريقهم عادة بشق الانفس وعرق الجبين .

الشائع في بيوت الهنود أن آلهة العلم وآلهة الحظ السعيد وساراوانى ولا كشمى ، لا تعيشان معا . ولكن لكل قاعدة شواذ . والشاذ هنا أن عائلة طاغور جمعت بين الآلهتين أى بين العلم والحظ السعيد . كانت عائلته على جانب كبير من الثراء وكان طاغور أحد أفراد هذه العائلة الكبيرة المحظوظة ذات الثراء الواسع والممتلكات الكبيرة في البنغال . وكانت الحكومة تجي مقداراً كبيراً من الضرائب من هذه العائلة وحدها كل عام . لذلك لم يصطدم طاغور كغيره من عظماء التاريخ والناهين منهم بعقبات الفقر والعوز . وبجانب الثراء العريض ورث طاغور أيضاً مواهبه الأدبية وثقافته الممتازة من أجداده وآبائه

وفي القرن السابع عشر نرى أن هذه العائلة الكريمة كان لها شأن عظيم أيام الضيق والازمات التي اجتاحت الهند . وكان يضاف إلى اسم أفرادها لقب دثاكر ، وهو لقب رفيع وأن كان هذا اللقب قد انقرض من البنغال اليوم إلا أنه كان لا يطلق إلا على العظماء وأصحاب الشأن والنفوذ . وكان هؤلاء ، الثاكريون ، الذين تطور لقبهم فيما بعد فأصبحوا يعرفون بالطاغرة - جمع طاغور - كانوا قادة الفن والأدب . ولقد طاغور الأمير واركانات الفضل الأكبر في تعميم المذهب (البرهمى) في جميع أنحاء الهند كما كان سنداً قوياً وعضداً للمراجا رام موهان روى الملقب بأز

الهند الحديثة والذي استطاع أن يدخل ويعمم الثقافة الغربية في الهند ويمحو التقاليد القديمة البالية التي كانت في نظره سبباً مباشراً لسقوط الهندوسية ولهذين البطالين يرجع الفضل في منع الأرامل البنغاليات من التضحية بأنفسهن طعمة للنيران المحرقة إذا مات عنهن أزواجهن .

والعجيب في أمر هذه العائلة العظيمة أن والد طاغور رغم ثرائه القاحش لم يكن ميالاً أو محباً للبادية . بل كان منحازاً دائماً الى جانب الفن والأدب . وكانت حياته وحيات أفراد عائلته الكبيرة ومثالا نادراً للعيشة الزاهدة البسيطة . فقد ساهم أبوه بأكثر قسط لديه من المال والجهد في تنظيم الحياة في البنغال ومحاربة الرذيلة والعادات اللعينة ما استطاع إلى ذلك سبيلا فغدا ابنه ولاغرو مثالا لأبيه مجدداً وعضواً عاملاً ناشطاً في الهيئة الاجتماعية بعده ، قضى على كثير من العادات الهندوسية . فعبور المحيط والسفر الى الخارج كان الهندوسى ينظر اليهما نظرة المستطير المرتقب شراً وويلاً وثبوراً . ولو حاول انسان أن يرسل ابنه الى الخارج لتلقى العلم لحقته اللعنة .

وقد استطاع دافيندرات طاغور أب شاعرنا الملمم أن يجتاز هذه الحواجز ويتجاسر ويسافر الى انجلترا ليتعلم ويتزود بالعلم والمعرفة . . . ولافت عائلته من هذا التجاسر المشين والوزر العظيم متاعب ومشاكل ، فغضب الهندس وثار البراهمة وامتنعوا عن معاشرتهم أو الاختلاط بهم فصاروا كالمنبوذين .

ولكن حال النخاسة هذه لم يستمر كثيراً فما كاد يعود أبو طاغور

الى بلاده حتى أعلنها حرباً شهواناً على التعصب المرفول وخرج منها ظافراً
في آخر المعركة فكسب قلوب الناس وأثر في الدهماء تأثيراً ساحراً فلقبوه
بـ « المهاريشى » وهو لقب عظيم .

* * *

كان طاغور عبقرية وكانت الشهرة التي امتاز بها صدى لما امتازت به
عائلته خلال القرون الماضية ولم تقتصر هذه الشهرة عليه فقط بل كان أخوته
على جانب كبير من الشهرة كذلك لما أدوه للدولة من خدمات عليا متميزة
وكان طاغور أصغر أخوته السبعة وأنجبهم ، كان أحد أخوته أول هندي
انخرط في الخدمة المدنية . وكان الثاني فيلسوفاً ومحاضراً وأذكي أبناء عصره
وكان الثالث فناناً بارعاً ذا فكر وهاج ، وقد نشأ هؤلاء الاخوة جميعاً
تحت سقف بيت واحد عاصروا فيه نهضة الهند وتغذوا من ثمارها وتنسموا
عبرها وأريجها الفواح .

ولد طاغور في اليوم السادس من شهر مايو عام ١٨٦١ في بيت
الطغاغرة الكبير وفي شارع دوار كادس طاغور بمكلكتا . فكان هذا
اليوم غرة في جبين الدهر لأنه طلع على الناس بمولد عبقرى جديد .

الشاعر الملام

تأثر طاغور في طفولته ببعض حوادث أثرت في مجرى حياته منها موت أمه فاستعاض عن حبها وحنانها بأن اتجه بعواطفه ومشاعره نحو أمه الكبرى الطبيعة يطلب منها السلوى والعزاء... ولما كان أبوه صاحب مشغوليات جسام تركه في رعاية بعض خدم منزله الذين كان يثق فيهم ثقة عمياء. واماكن طاغور لم تعجبه هذه الحال وفضل الوحدة على عشرة الخدم ففيها رياضة لذهنه وبجال لكي يطلق افكاره العنان في مسائل الحياة الدنيا التي كانت تستنفذ منه جل اوقات حياته.

ولقد اثرت هذه الوحدة في مشاعره وأحاسيسه فأرهفتها وشحذت قريحته الوقادة فكان كلما خلا الى نفسه نظر من نافذة منزله الكبير الى الحديقة الواسعة التي تحيط به فتعجبه أرضها السندسية وحشائشها الخضراء الزاهية والخضرة وأشجارها الباسقات فيغيب في تأملاته هذه المناظر الخلابة التي تأخذ بمجامع القلوب فتحرق فيه كوا من الشجن وتعصف بشعوره ووجدانه فتنتطق لسانه شعراً رائع القوافي ساحر المعاني.

ولنستشهد بما قاله طاغور في هذا الصدد عن أيام طفولته وما تركته في نفسه من آثار ومقومات كونت شخصيته وصيغتها بلون خاص عرف به عن غيره من عظماء الرجال الذين كان للبيئة أكبر الاثر في حياتهم.

يقول طاغور: كنت نسيج وحدى وكانت وحدتى هذه طابع طفولتى
كان أنى دائماً يتغيب عنا فى أسفاره وأعماله ورحلانه وإن كان وجوده فى
منازلنا كلها سبحت الفرصة بذلك، قد أفادنا وأثر فى حياتنا تأثيراً جوهرياً
لأنه كان عالماً جليل القدر واسع الاطلاع مهيباً فاضلاً. وأقد تركت لرعاية
الخدم بعد موت أمى فكنت أجلس يوماً بعد يوم أطل من نافذة حجرتى
لأصور انفسى ما كان يدور فى العالم الخارجى حينذاك ، وإنى لأذكر
كيف كنت مواعاً بالطبيعة مغرماً بها إلى حد الجنون حتى اننى لأستطيع
أن أصفها لك أو أصف شعورى الحقيقى نحوها .

إن الاقدار لم تترك طاغور ينعم بعزله فى برجه العاجى أو يغترف
من مناهل الطبيعة وحيه وإلهامه بل نغصت عليه حياته فى فترات من الزمن
متفاربة ففقد زوجه وهو فى الحادية والأربعين من عمره . وكانت له معنا
لا ينضب رسداً قوياً فى ترتيب أفكاره وقرض أشعاره بما كانت تهيه له
من أجواء خيالية أو شاعرية . ثم كانت فوق ذلك نكراه المادة فلم تجبره
أو تبدى له رغبتها فى الجرى وراءها من أى طريق .

كان طاغور مثلاً رائعاً فى الوفاء والتضحية فى سبيل من يحب فكان
موت زوجته بعد شهرين من آلام المرض أثر كبير فى نفسه ، فأم لفراقها
وجزع لبعدها عنه ونظم فى موتها قصيدة هى بمثابة درة فى جبين الشعر
لهندى ومثل نادر للوفاء والتضحية .

ثم فجئته الحياة أيضاً بعد عامين فى وفاة زوج أبنته التى كانت عنده بمثابة

أغلى جوهرة حصل عليها فى دنياه . ثم لا حقه الاقدار ففجعته فى أبيه
فكان بما قاله فى رثائه .

أبى أنت صخرة حياتى
كنت لى منبعاً لفرحى
وسلاماً لروحى ...

ولم تنته به سلسلة المأسى بل اختتمتها الحياة بأنزاع أبنة الصغير
من بين أحضانه . فكانت هذه الفواجع صدمات ولجأت كلها له القدر
الغشوم ، فأثرت فى تفكيره ومن ثم فى أشعاره وطبعها بطابع نسرى
فيه روح الحزن والالم المرير .

وإذا كانت الحياة مع هذا قد منحت طاغور عبقرية نادرة
ولوذغية فذة وأهله لكتابة أشعار تعد بجيدة ممتازة . إلا أنها حرمت من
تدوين أشعار يمجدها أسرار الطبيعة مثلاً ، فاستعاض عنها بكتابة نثر
وشعر يصور فيها الالم أو ينزع فيها نحو المأساة . نعم . هذه المصائب
المتلاحقة صدعت أفكاره ، وعكست على تخيلته بعض صور تخيلها وكأنه
هو الآخر على وشك الرحيل إذا غربت شمس النهار ، وانتهت أيامه بظلمه
الرمس فلم تخلو أشعاره من ذكر الموت ، فعدا بذلك شاعراً مكتئباً حزيناً ،
يشفق على نفسه من فراق الدنيا وهو جاهل لأسرارها ، لا يعرف
من خباياها الكثير .

طاغور والمدرسة

إن قصة حياة طاغور في المدرسة لا تخلو من طرافة . كان أبوه قد أرسله إليها فلم يبد فيها نجابة أو مهارة . لأنها لم تكن كما يقولون المكان اللائق بشاعر مجيد بل كانت الطبيعة هي خير معلم له . وحاول أبوه أن يرسله إلى أحسن المعاهد وأرفعها في الهند لكن مزاج ابنه ومشاعره للمرهفة كانت دائماً عقبة كأداء في سبيل تعليمه وبعد جهد كبير أدخل طاغور أكاديمية البنغال ولكنه لم يظل بها طويلاً لأن روحه الطليقة النازعة إلى الحرية لم تتحمل الكبت . فكان يكره نظم التعليم وتقائده ويقول في ذلك : كنت أشعر بضيق وبؤس مريرين كأنني أرنب محبوس في معهد بيولوجي ، وفي مقام آخر يقول . كنت أضيق ذرعاً بالمدرسة وبالتعليم الهندي . كنت أكره نظام الدراسة . فإذا أصبحت مشكلة هويصة الحل أمام أهلي قرر رأيهم على أن يرسلوني إلى إنجلترا لأخضع هناك لنظم التعليم وتقائده .

والواقع أن الصغير سبب لوالده متاعب لا يمكن حصرها ، فكثيراً ما كان يعنفه أو يوقع عليه عقوبات شديدة فلما لم تغلح تهديداته سمح له أن يتلقى دروسه على أيدي أسانذة أجلاء في منزله ، وحتى هذه الطريقة لم تنجح النجاح المرغوب منها . فلم يظهر طاغور أى رغبة في التعليم . بل

كان يتلقى دروسه الحقيقية من الحقول الخضراء والمروج الخضراء والحدائق
الغناء والأودية والجبال ومن شروق الشمس ومن غروبها . ومن بزوغ
ذكاه ومن ابتلاج للقمر . . ومن القرى والمدن المزدهجة ومن كل من
قابلهم في العالم الخارجى . وذلك كله لأنه كان حالما وكان مستقلا . كان
مرهف الحس ملتهب الشعور .

وأخيراً لما أعيت أبوه الحيلة ناداه ذات يوم وقال له . ها أنت
حر بابنى اختر لنفسك ما تشاء فليست مضيقاً عليك الخناق بعد ذلك
مادمت تذكره المدرسة كرها أخرجنا عن صوابنا وكاد ياقى بنا إلى
مالا محمد عقباه . . فالتفت إليه طاغور وقد تهلت أساريره وقال . ،
يا أبت إن أذنت لى فأنا إلى الأدب البنغالى جد مشتاق لنهل دوره وأبانه

وهكذا ، تأثر طاغور بكبار شعراء البنغال مهم الشاعر المجيد
بانكيم شاندرا الذى عاصره لعدة سنين ، وقد أثرت فيه أشعاره التى كانت
تعرف بأنها موسيقى ذات إيقاع يغزو النفوس ، وكان بانكيم راوية أيضاً
وكان ذا صـوت جمهورى حلو وتأثر طاغور أيضاً بأغاني باهرليل
شاكارباتى وأشعاره كاير ، الشاعر الملهم الكبير . ومن هؤلاء تعلم
طاغور أصول الشعر والنثر وان كان تأثير كاير عليه كان طاعياً
جارفاً .

الشاعر في صدر شبابه

كان أب طاغور كثير الاسفار ، وكان يصحب معه ابنه من وقت لآخر . فزار وهو في الثالثة عشرة من عمره جبال الهيمالايا لتأدية بعض الشعائر الدينية . ولهذه الجبال العظيمة شهرة واسعة وتأثير مباشر على الحياة الهندية عموماً . ولا يتداركن إلى ذهن القارىء أن ذلك مرجعه أنها تقف سداً منيعاً حصيناً في الدفاع عن الهند فحسب بل لأنها مهبط الروحانية ومعين لا ينضب لها . زد على ذلك أن الفلسفة والثقافة والفن الهندي ندين لقمم هذه الجبال بالرفعة فن كهوفها ووديانها وغاباتها ومن قممها الثلجية الصاعدة إلى عنان السماء تأثر الفلاسفة والشعراء ، وامتلات قلوبهم بنور الحق والإيمان ..

وفي وسط هذه الوديان الجميلة التي تحيطها الحضرة الزاهية من جميع الجهات وتحصنها قمم الجبال الشواخ في دالھوزى ، استقر المقام بالأب وابنه في كهف عند أقدام الجبل . وخرج الأول للعبادة والتكفير عن النفس . بينما انطلق الثانى هامئاً على وجهه في الغابات والجبال وقد نسي نفسه تماماً بين أحضان الطبيعة لا يسلوها ولا نسلوه . ففى غداة كل يوم يهرع إلى ينابيع المياه المتفجرة من الصخور أو إلى الغدران في لهفة إلى خرير الماء وجريانه بين الحصى والرمال . أو يجرى هنا وهناك باحثاً

عن مساقط المياه أو شجيرات الزهر والزنابق الحمراء والبيضاء مناجياً
أمه الطبيعة باقة لا يفهمها سواه ...

وفي الليل إذا سطعت النجوم وتلألأت تبادل وإياها رسائل كلها
الغاز . وإذا هبت الرياح حملت معها روحه إلى عالم الأحلام ..
وإذا مرت سحب المساء ألقت عليه سحرها فيقف مشدوهاً مشئت
الوجدان . هنا انطلق لسانه من عقاله بشعر رصين وتدفق تدفق المياه
من عل وفي ظلال الهيا لايا مكث طاغور أربعة شهور كاملة يدرس النحو
والفقه والفلك في الهواء الطلق تحت إرشاد أبيه الذي كان له الفضل
في تكوين شخصيته وصقلها وتهذيبها بما لا تستطيع المدرسة أن تأتي بها
بين جدران أربعة أيا كانت الظروف ...

بلغ طاغور الرابعة عشر من عمره وأصبح يجيد صياغة الشعر ،
فهزت أشعاره البنغالية مشاعر الناس ، ولفتت الأنظار ورائت إليه
القلوب . فما جاء عام ١٨٧٤ حتى نشرت له الجرائد قصيدته العصية
« أهيلاش ، أي ، الطموح » وبدأت تغزو أشعاره من هذا التاريخ
الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية .

ولنذكر طرفاً من هذه القصيدة التي تعد بحق أجمل ما كتبه طاغور
يناجي فيها الطموح :

« يا من سحرت العقل البشري ،

« الطريق إليك شائك وعمر ،

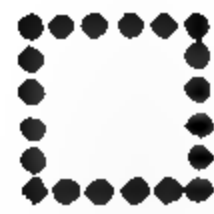
« الناس يهرعون إليك كلما دوى في الأفق صوت نفيرك ،

« ويندفعون ويتزاحمون بالمناكب ،
« ثم لا يلبثوا أن يضيعوا في غمار الحياة ،
« ويندفعون ليمتلقوا بظلالك ،
« ثم لا يلبث أن يردم الشك على أعقابهم ،
« شباك الخداع هي التي تجذبهم إليها ،
« فينساقون ثم يقعون كالغزلان في فخاخ الصياد ،
« ترفق أيها الطموح بهؤلاء الذين تبهرهم أضواءك ،
« فيفرقون في بحار الرذائل والخطايا ،
« أيها الطموح . . . إن الفلاح تخدعه أحلامك ،
« أحلام القصور والثروة والجاه والذهب ،
« ولكن هذه الكنوز الخادعة تكشفها الحقيقة السافرة ،
« وترتطم على صخرة الحياة وتتناثر أشلاء ،

عرف طاغور من مقالاته وأشعاره التي كانت تظهر تباعاً في جريدة
يومية كان يشرف عليها أخيه الأكبر في إظهار طاغور وخلق سمعته
الأدبية ، ولعل أبرز ما كتبه فيها قصة الشاعر ، التي طبعت له في كتاب
خاص فيما بعد .

وفي اليوم العشرين من شهر سبتمبر عام ١٨٧٨ أبحر طاغور

إلى انجلترا ليدرس الادب الإنجليزي مع أخيه سانياندرات طاغور .
وفي لندن كان طاغور موضع إعجاب أسانذته لنجاوته وسرعة بديهته ،
وتتلذذ على يد أستاذه هنري مورلي الذي أعجبته وبهرته عبقرية طاغور
ونقده لحياة الإنجليزي في بلاد الهند في مقال يعد أزوع ما كتب الاجنبي .
كما استطاع أن يلم بأطراف الادب الإنجليزي ويتبحر فيه خلال سنوات
عاد بعدها إلى الهند حيث استقر به المقام في مدينة شاندراناچار
على ضفاف نهر الجانجس ...



طاغور والإنجليز

عاد طاغور من بلاد الإنجليز يحمل معه ذكريات موحشة عن هذه البلاد . كشف عنها في سلسلة مقالات ظهرت له في جريدة أخيه المعروفة باسم « بهاراتي » تحت عنوان « مشاهدات زائر لأوروبا » ، نقد فيها تقاليد الإنجليز البالية وعجرفتهم وعندهم وتعاليم الكاذب كما كان حرباً شعواء على حضارتهم التي لم تعجبه أو تهضمها نفس الشاعر . وفي كتابه « ذكريات » عاد إلى ذكر مقالاته السابقة عن الإنجليز ، اختتمها بعبارة بليغة ذات معانٍ أحد من السيوف القواطع هي قوله « أن التواضع ميزة لا تتصف بها كل الأمم فإحوج بعضهم إليها » .

كره طاغور الإنجليز كراهية مطلقة ، وراعه أن يلبس ما أنصف به الخلق الإنجليز من رياء وخداع ، وما ذاقه الناس من حكمهم الجائر واستعمارهم البغيض . . فحاربهم حرباً شعواء وألب عليهم غضب الهمود ، وكشف حقيقتهم أمام الأمم جميعاً . وكان لمقالاته عنهم أثر السحر في النفوس ، الشيء الذي أفاق بال الإنجليز . فعملوا له كل حساب ولكنه لم يأبه بهم ، بل استمر طول حياته يكيل لهم الصاع صاعين ، ويردهم على أعقابهم خاسرين . . واستطاع طاغور مع هذا أن يكسب صداقة الكثيرين من كتاب الإنجليز وشعرائهم لاسيما الأحرار منهم

الذين كانوا يعلنون حق العلم ماهية الخاق الانجليزى الاستعماري البغيض .
ثار طاغور على الانجليز أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة ،
ووقف لهم بالمرصاد ، يتعقبهم أينما كانوا ، ويلحقهم بلعناته وسخريته
أينما حلوا في ربوع الهند .. ونازلهم في أكثر من ميدان ، ووصفهم
بالقراصنة والصوص لانهم سطروا على خيرات الهند وثرواتها ، وأجاعوا
الهنود ، وتركوهم في بطاح الهند وأراضها مشردين معذبين بلا مأوى
وبلا كساء ..

إن العار الذي لحق الانجليز من جراء مهاجمة طاغور لهم وكشفه
النقاب عن خلقهم لا يمكن أن يهمله أو ينساه التاريخ لأن قلم طاغور
كان أقوى من السيف البتار وأقوى من أن يذسى له التاريخ هذه
الصفحة من الفخار ...

إنتاج طاغور

أنتج طاغور وهو في العشرين من عمره كتابه ، أغاني المساء ، تبعه
بآخر سماه ، أغاني الصباح ، وفيه ترنم الشاعر بمآني الحرية . وفي كتابه
الأول الذي كتبه على ضفاف الجانجوز ومن وحى ما كان يحيط به من
مؤثرات أسهب الشاعر في وصف الطبيعة حتى نسي نفسه في غمارها ويعد
كتابته الثاني أحد كتبه الأساسية . كتب بعض فصوله بين التلال
والوديان . وانستمع إليه وهو يناجي الصدى بقوله .

أيها الصدى أنى أحبك أكثر من أى شئ آخر .. وإن كنت
تربكنى وتزعجنى . كم أحب أن أنصت إلى الطيور وهى تغنى من شفتيك ..
وأرشف سحابة من خير المياه وإلى الموسيقى الساحرة التى تنطلق من
القبور .. ولكن لست أدرى لماذا لا أستطيع أن المحك وأنا أبحث
عنى فى كل مكان ...

وقبل هذين الكتابين أخرج طاغور كتاباً آخر أطلق عليه
، القلب الكسير ، وهو آية صادقة لما كانت عليه حياته بين الخامسة
عشرة والعشرين .

استطاع طاغور إذن أن يبدأ رسالته فى الحياة فى هذه السن المبكرة
ويدلم الناس ماهية الحرية فى اشعار زادت على السبعة آلاف بيت من

الشعر قبل بلوغه الثامنة عشرة ذلك عدا مقالات طنانة رائعة في الأدب والاجتماع والحقوق . فرسخت قدمه بين زمرة أدباء البنغال ، كما استطاع أن يوطد صداقته ويكتسب احترام الشاعر البنغالي الكبير شاندرام شاترجى الذى هام بأشعار طاغور كما هام الأخير أيضاً بأشعار شاندرام التى تنزع إلى الحقيقة وحرية الفكر . ولكن مما يؤسف له أن هذه الصداقة لم تدم طويلاً بسبب ما قام بينهما من نزاع حول بعض المشاكل الاجتماعية .

وفى عام ١٨٨٣ ، تزوج طاغور من سيدة صالحة رقيقة عارضة معاونة صادقة فى حياته فأناحت لشاعرنا أن يعيش فترة من الزمان خلوا لمزلقانة وأفكاره وأشعاره وليس نهبا لمشاغل الحياة أو مشاغل الزوجية التى لا تهنأ أبداً . أنجب منها طاغور ولدين وبنات ثلاث .

كان الشاعر لا يحب المدن بل يفر منها ويعيش بعيداً فى الخلاء على ضفاف الأنهار وبين الحقول والمروج حيث الورود والريحان . .

وبعد ثلاث سنوات قام طاغور برحلة فى ربوع الهند ليدرس فيها طبائع الهنود واختلط بهم وعاشرهم عن قرب وألم بمشاكلهم وتقاليدهم . ولم يطل به الوقت حين استدعى لجأه ليحمل عبء العائلة بعد وفاة أبيه وليربّع على ضيائه الواسعة يديرها ويصرف أمورها . . فكان لابد مما ليس منه بد واستطاع طاغور فى مهمته الجديدة هذه أن يندمج مع الفلاحين ويلبس مدى شقائهم وتعاستهم . وفى ذلك يقول : أنى أشعر بعطف نحو هؤلاء المساكين . هؤلاء الذين يصمدون للأقدار بنفس راضية . يجزعون

حتى نكاد أحشاؤهم أن تتمزق . ولكنهم لا يلبثوا أن ينسوا جوعهم
وآلامهم .

درس طاغور مشاكهم وتفاؤل في فهم مصدر تعاستهم وعاونهم في
ساعات شدتهم ونفث فيهم حب التعاون ، وقضى على ما كان يذشأ بينهم
من نزاع عائلي مستمر .

ان سنوات المزرعة كانت أحسن سني حياته . أتم فيها كتابة موضوع
درامى ، التضحية ، وقصة طويلة ، شترانجادا ، . . . وتعد أولى وأحسن
ما كتب في الفن الدرامى البنغالى والثانية أروع قصة بشرية يحلل فيها
النفس أبدع تحليل عرفته الانسانية .

وسام أثناء هذه السنوات في كتابة مقالات طنانة في مجلة شهرية
أسمها ، السادهاانا ، غير كتابه المعروف بهذا الاسم كنه الحياة ، وكذلك
في كتابة أشعار كان لها فعل السحر في نفوس البنغاليين .

وتحول طاغور تدريجيا من نواحي الادب إلى نواحي الاجتماع
والسياسة فكتب مقالات مارية عن الحوادث الجارية يحلل فيها ويدافع
عن كرامة الهنود وكرامة المجتمع الهندى وكان من نتيجة ذلك أنه كون
حزب ، سانتيديكيان فيديالا ، الذى ساهم في مجموعة من الاحداث
الاجتماعية والسياسية ظهر بعدها كبطل من أبطال السياسة والاجتماع .

طاغور الشاعر

إن لفظة «كاتب» في اللغة السنسكريتية معناها العام «شاعر» ،
ولكن معناها الحقيقي هو «نبي» . كان طاغور بين أهله أكثر من شاعر
وأكثر من كاتب أي أنه كان «كائياً» أي نبياً بما تشمله هذه الكلمة
من معانٍ .

ومن المعلوم أنه في مدى الواحد والثمانين سنة التي عاشها طاغور
على الأرض ، كتب شعراً ونثراً ، وأغاني ودراما ، وغير ذلك ، ولكن
الأثر الحقيقي لحياته وأعماله ليس الشعر أو النثر بل أثر المصلحين ، أثر
الروح الخالد الذي كان يبحث وينقب في عالم صاخب مليء بالضوضاء ،
ويعمل جاهداً على تهدئة هذا العالم وأراحته بما أفاض وأجاد من رسائل
الحق والإيمان .

كان طاغور دائب الترحال ، زار بلاداً كثيرة ، ورأى أمماً مختلفة .
ودرس عن كتب مبادئ هذه الشعوب الفلسفية ، ثم أعطى للعالم أخيراً
خلاصة تجاربه وحكمته عندما يقول .

« إن الله السرمدي ينادي أرواحنا على الدوام ، ينادي أرواحنا
غير المحدودة ، غير المقهورة ، أرواحنا الخالدة . ومع ذلك فانه ينادي
أرواحنا التي غمرها التراب . »

ولد طاغور ، في البنغال ، ذلك الاقليم الذى كان مزدهراً في ذلك الوقت على جميع مقاطعات الهند .. وفي أوائل القرن التاسع عشر استطاع أحد مهراجات الهند «راموهان روى» أن يقوم ببث روح جديدة في أفراد الهنود ، وخلق دين جديد ، وكان يعلم حق العلم ، وهو البرهمى الهندى مدى الندهور الذى كانت تعانيه الهند وكم كانت تن من نير المستعمرين ، فكان الهدف من حركته إصلاح ذات البين والقضاء على الاستعمار ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

كانت حماسة طاغور في هذا المعترك الجديد ، معترك السياسة والادب والاصلاح الاجتماعى ، بالغة الاثر اذ استطاع أن يستعيد حماسة الهنود ويلهب وطنيتهم .

يقال أن «راموهان روى» قد يكون هو الذى أرسى حجر الاساس في تغيير آراء الهنود واكنسابهم أفكاره الجديدة وأنه كان ضمن هؤلاء الهنود الأوائل الذين ساهموا في إشعال أفكار الهنود وإلهاب حماسهم نحو تحرير الهند وخلق هند جديدة ولكن طاغور يعد بحق تلميذ هذه الثورة ونبيها على السواء .

عاد طاغور إلى الهند من أوروبا ، وكان اقليم البنغال في ذلك الوقت قد استيفظ من سباته العميق ، وعمت فيه الأفكار الجديدة وروح جديد في الدين والادب والسياسة ، ودخل طاغور المعركة ، وفي ذهنه أن يخلق مستويات جديدة ، وثار طاغور على التقاليد القديمة المحافظه ،

وخلق عصرا جديدا كله نشاط ، وكانت أعماله في هذه الحقبة مليئة بالحياة ووضوح كتابته ، وعمق تفكيره في أشعاره الأولى بلورت عقول الشباب ، وأصبحت حلقة هامة في شعر وأدب البنغال استطاع طاغور أن يحول قلبه إلى كتابة الشعر السياسي والأغاني والمقالات . وهذا بعض ما قاله في إحدى المناسبات السياسية : احتفال الهندوس ، والتي تظهر بوضوح متانة شعوره كسياسي تنظيم :

ليس في هذا الاجتماع طراوة بل ضراوة الشعلة الثائرة ، لا الخطوة ولا القنائة بل القوة الصارمة . سواء سمع الانجليز صرخاتنا أولم يسمعوا فبلادنا هي إلى الأبد بلادنا . بلاد آبائنا وأبنائنا وأحفادنا الواهبين الحياة لنا . الواهبين القوة والخير لنا .

كانت الحركة السياسية التي أذكي أوارها طاغور قد بلغت حدا من النضوج ، فاصطبغت كتابته في هذه الحقبة بالثورة والعنف ، والسخط على الاستعمار فقد صب جام غضبه على الانجليز ، وأذكي في قلوب مواطنيه كراهيتهم ، فلافوا من كتاباته الملهبة الرتيبة الأمرين .

كان طاغور أدرى الناس بالخلق الانجليزى ، وأعلم علم الناس بمكرهم ، فلم يرحمهم ، كان سخطه عليهم عظيما . . كان قلبه وكلماته النارية عاملا هاما في تقويض أركان الاستعمار الانجليزى في الهند . .

مدرسة طاغور

في عام ١٩٠١ عندما أصبح طاغور شاعراً مطبوعاً ، راعه ميل شباب الهند إلى اعتناق المبادئ الغربية التي أفسدت نمو الأدب الهندي، وطلعت على نظم التعليم هناك ...

كان طاغور يعلم حق العلم بأن نظم التعليم الأوروبية التي شاعت في الهند كانت بعيدة كل البعد عن جوهر الحق والحقيقة . إذ كان تأثير هذا التعليم واضحاً على الناحيتين الأدبية والمادية في النشء ، بعيداً كل البعد عن الناحية الروحية فيهم ...

قال طاغور في إحدى مقالاته : إننا لا نزال في الهند نحن إلى المنازل والاماكن التي كان يهيمن عليها كبار رجالا العارفين ... لم تكن هذه الاماكن مدارس أو أديرة بما تشملمها هذه الدور العظيمة من معان ... بل كانت منازل عاش فيها رجال عرفوا الله تعالى وقدموه وفهموا معنى الحياة ... وهم وأن كانوا قد عاشوا خارج المجتمع ، إلا أنهم كانوا للمجتمع كأثر الشمس على السكواكب ... كانت هذه المنازل مصدر العلم والمعرفة ومركز النور والحياة .

ويقول أيضاً : في الهند القديمة كانت المدرسة أينما كانت الحياة نفسها،

كان التلاميذ يتعلمون بطريقة مغايرة لطريقة اليوم .. كانوا يتعلمون في وحدة صارمة ، وقداسة مطلقة ، وعزلة قاتلة .. كلها تأمل وكلها تفحص كانوا يأخذون القطعان إلى المراعى .. ويجمعون الحطب .. ويقتطفون الثمار .. ثمار العطف والحب للخلوقات طرا .. ونمت فيهم روح المحبة بفضل معلمهم وكبارهم العارفين . كانت هذه الدور مأوى للذين وهبوا حياتهم وكرسوها لخدمة الله .

• كان التلاميذ يعيشون في دور معلمهم كما يعيش الأطفال في دور ذويهم ، لم يكن ليدفعوا تكاليف إقامتهم ومعيشتهم . بل كان المعلم يعيش في بساطة تامة ويعاون تلاميذه بكل ما أوتي من جهد ، لا مطمع له غير تثقيف النفوس والسهر على رعايتها وتكوينها أحسن تكوين . كان هذا هو المثل الأعلى لكل معلم .. نكران الذات والتضحية في سبيل خالق شيء عظيم .. خلق شيء مقدس الحرية والعدالة والمساواة .

خلق شيء لا يعمل للمادة أى حساب .. بل يعيش في وحدانية مطلقة باحثاً عن الحق .. عن الحياة الصحيحة التي يجب أن يحياها الناس جميعاً .. شيء يعيش في فقر مدقع ، بعيد عن لذات الغنى والاهواء والفساد ..

كنت أشعر دائماً بأننا في حاجة ملحة ليس إلى المال أو القوة أو الراحة بل إلى حرية الضمير ، حرية الحياة في بارئها ، لا نعادي أحداً ولا نضاري أحداً .. بل تكون دائماً بعيدين عن هؤلاء الذين لا يضمرون لنا الخير ولا يودون لنا البقاء ..

وعلى هذا عهد طاغور إلى وحدته .. إلى عزله .. ليتعمق في دراسة آداب قومه ، وينهل من تراث آبائه وأجداده .. فأنشأ أول مدرسة ثقافية في الهند ، تدعى له بكل فضل ، أثر ، ألا وهي الفيدايالا في سانتينيكيتان والتي أصبحت اليوم ملتقى الثقافتين الغربية والشرقية في الهند .

كان هدف طاغور أن يخلق جوا من الحرية لتلاميذه وكان يشاركهم في ألعابهم ، ويقص عليهم أحسن القصص ، ويجعلهم يشعرون بأن عصا المعلم لا وجود لها في عالمهم ، وأنهم أعضاء سعداء في مجتمعه الجديد .. كان طاغور يؤمن بأن عقل الطفل كالحيبة التي يجب أن تؤتى ثمرها وليس كالحيبة التي يجب سحقها بين حجرى الرحى ..

كان هم طاغور أن يخلق شعور الثقة والاستقلال والاعتماد على النفس في نفوس تلاميذه بدون أى تدخل أجنبي يؤثر على مقوماتهم وحياتهم . لم يكن في مدرسته فصول دراسة منتظمة ولا مقاعد يجلس عليها الطلبة بل كان يجلس وإياهم تحت ظلال أشجار المانجو ، وفي الهواء الطلق ، ويختار لهم مدرسين تتصف أخلاقهم بالمرح والهدوء والرزانة .

كانت لوائح مدرسته تقول : أن معهدنا المثالي مكانه تحت ظلال الأشجار الوارفة ، في بلادنا الواسعة بعيداً عن ضوضاء المدينة الصاخبة ويقوم على تصفية عقول الطلبة فيه مدرسون أكفاء أمناء ، في جو مشبع بالسلام والسكون . وسوف تلحق بالفيدايالا البساتين والحدائق وسوف يتعاون الطلبة في إصلاح الأرض وحلب الأبقار ..

وعندما عاد طاغور عام ١٩١٤ من أوروبا ، كانت مدرسته قد ازدهرت ، وعرفت في الشرق والغرب على السواء ، وزاد عدد طلابها زيادة ملحوظة وأدخل عليها فروع كثيرة من العلم والادب واللغات الشرقية . وفي عام ١٩٢٧ أدخل فيها قسم خاص بالآداب الإسلامية والإيرانية بفضل جهودات سعادة نظام حيدرآباد وغيره من كبار رجال الهند أوقف طاغور أملاكه على معهد العلمى وكذلك قيمة جائزة نوبل التى حصل عليها ، وحقوق كتبه البنغالية وحصيلة بيع كتبه الانجليزية . . وأصبح معهد طاغور عالماً بذاته كما كان يقول جيته توكيه الفرنسى الذى زار المعهد وقضى فيه بعض أيامه أنه معهد يقوم العقول تقويماً صحيحاً ، من الناحيتين الاجتماعية والاستقلالية ، وعلى أحدث النظم وأدقها . .

جائزة نوبل لطاغور

كان رابندراناث طاغور شخصية عالمية ممتازة ، حمل رسالة الحب والسلام للعالم كله . كانت رسالاته تحارب التعصب العنصرى ، وتعمل على خلق تفاهم دائم بين الأمم . قضى طاغور حياته كلها بحارب وجرد الحواجز المقتعلة التى تفصل الأمم بعضها عن بعض . . .

ناصر طاغور الزوج والمؤنن ، وسخط على سوء معاملة الأمريكين لهم . لم تقتصر مناداته للسلام على الهند فقط بل تعدتها إلى العالم الغربى . وفى زيارته لأوروبا وانجلترا كان دائماً يحاول أن يفسر وجهة نظر الشرق نحو المسائل العالمية التى كانت تشغل الرأى العام فى كل مكان فى ذلك الوقت . كما عمل على ترطيب الصلة بين كبار رجاء الفكر فى أوروبا وبين مفكرى الهند .

وفى منتصف عام ١٩١٢ سافر طاغور للمرة الثالثة لأوروبا . وقبل هذا الوقت بقليل اعترفت الهند بما أسداه إلى الأدب البنغالى من آيات بينات ، فاحتفل الأدباء بيوبيله الذهبى . وفى اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٩١٢ عقد اجتماع عظيم فى كلكتا واحتفل الناس جميعاً بشاعرهم الوطنى وكان هذا أول احتفال رسمى فى الهند لشاعر وأديب عظيم . وكان كثير من شعراء الغرب يعجبون بعظمة أشعاره

وبما تشمله من معان عظيمة كما بدأوا يتأثرون بشخصيته الفذة
وعبقريته النادرة ومدى تأثيرها على الهند نفسها . ،

ما أن وصل طاغور إلى لندن حتى بدأ شعور الاسى يخالجه . لقد
كانت الحياة في لندن غريبة عليه ، لا يستسيغها في قليل أو كثير . . .
بلد آخر غير الهند يختلف عنه تمام الاختلاف فهناك الهدوء والسلام وهنا...
هنا في قلب لندن المؤامرات والدسائس والمنازعات . . . فقرر عزمه
على زيارة صديقه ولیم روثستين الفنان الانجائزي الكبير ، فبدأت
اتصالات طاغور بكبار رجال الادب الانجائزي عن طريق صديقه
ذاك . فتمعرف على و . ب . يتس وستوبفورد بروك ونيفنسن ، وه . و .
ويلز ، وديكنسون وبرتارند رسل وغيرهم من مشاهير الرجال . وكسب
صداقة س . ف . اندروز الذي توطدت بينهما عرى الصداقة إلى سنين
عديدة .

وكان هذا العدد العظيم من مشاهير الادباء الانجائز قد تأثر بعبقريته
طاغور ، وأصبحوا أشد الناس حماسة لافكاره وآرائه الجريئة الهادئة .

فالشاعر و . ب . يتس أعجب بشعر طاغور ، وطالب ترجمة كتابه
قربان الاغانى جيتانجالى وقدم له بقوله : لقد دأبت على قراءة هذه
الترجمة لمدة أيام في زحمة القطار وفي السبارة والمطعم وكنت أعمد إلى تركها
جانبا حتى لا يرانى انسان وأنا أمتز طربا من قراتها . هذه الاشعار بل
هذه الانغام السماوية مليئة بالالوان والاطياف وما كنت أحلم به طوال
حياتى .

أما الناقد الانجليزى الكبير ستوبفورد بروك فيقول عن نفس الكتاب
« إننى أعيد الاشعار التى قرأتها أكثر من مرة بإعجاب متزايد ، مع عرفانى
بأثرها الروحانى العميق ، ولما أضففيه على الفارىء من فرح جزيل ،
ولما تشمله من حب الجمال ياليتنى كنت استحقها .. »

أما الناقد مترايك فيقول « هذه الاشعار أحسن ما كتبه إنسان فى
تاريخ الوجود .. »

ولكن يتس كان أكثر شعراء الانجليز تأثراً بأشعار طاغور ومن
ثم عمل على تقديمه إلى أدياء أوروبا المماصرين ، فهد للاحتفال به رسمياً
فى لندن ودعا إلى الحفل خلاصة رجال العلم والنقاد فى الخاترا وأشاد
وأجاء بمواهب طاغور الشاعر الانسان ، ورد عليه طاغور ببلاغة وبراعة
عندما قال معافا على قول ويلز المشهور « الشرق شرق والغرب غرب
ولن يلتقى الاثنان ، بقوله :

الشرق شرق والغرب غرب ولا بد أن يلتقى الاثنان فى سلام ووثام .
وسافر طاغور إلى أمريكا ، وهناك قوبل بحفاوة بالغة وتقدير عظيم
لعبقريته الفذة ومقدرته العظيمة وعلو شأنه .

ولفت كتابه الخالد « جيتا نجالى » ، أو « الاغانى » ، نظر لجنة جائزة
نوبل . وهى اللجنة التى تكونت بعد موت المخترع السويدى العظيم الفريد
نوبل عام ١٨٩٦ . وكان نوبل قد اخترع الديناميت ومتفجرات أخرى
فى حياته وأثرى ثراء كبيراً من إختراعاته المذهلة ورصد قبل وفاته مبلغ
خليون وثلاثة أرباع المليون من الجنيهات الانجليزية لتوزيعها على خمس

جوائز سنوية وحدد لكل منها مبالغ ثمانية آلاف وثلثمائة جنيه انجليزي
تمنح لخمس أشخاص .

الاول - لاعظم مستكشف في علم الطبيعة خلال العام .

والثاني - لاعظم مستكشف في علم الكيمياء خلال العام .

والثالث - لاعظم مستكشف في الطب خلال العام .

والرابع - لاعظم كاتب خلال العام .

والخامس - للشخص الذي عمل خلال العام على بث روح السلام
في العالم .

وفي نوفمبر عام ١٩١٢ فوجيء العالم والشاعر نفسه بخبر منحه جائزة
نوبل في الآداب . والحق يقال أن لجنة نوبل قد وفقت تمام التوفيق في
منحها الجائزة لطاغور وفي ذلك تقول جريدة البول مول الانجليزية
« إن لجنة نوبل لم تؤد الغرض منها كما أدته في اختيارها لطاغور » .

وقال أسقف بسالا أثناء زيارة طاغور للسويد « إن جائزة نوبل
للآداب لا تمنح إلا للكاتب العظيم الذي يستطيع أن يجمع بين روح
الفنان وروح النبي . ولم يستطع إنسان أن يجمع بين الاثنين غير
رابندراناث طاغور » .

ويأخذ روثنستين في كتابه المشهور «رجال وذكريات» ، على الانجليز
بطام في الاعتراف بفضل طاغور على الادب العالمي خاصة والهندي
عامة . وفي ذلك يقول «إني لآسف لأن انجلترا تركت دولة أجنبية أخرى

تعترف بفضل طاغور على الادب عامة . . . وكان أجدر بها أن تسبق
السويد في ذلك ، .

واحتفلت الهند بشاعرها مرة أخرى ، وانطلق خمسمائة عالم وأديب
في قطار خاص إلى مقر طاغور لتنهته بفوزه العظيم . ولكن طاغور
أخذ عليهم أنهم لم يسبقوا الغرب في الاعتراف بفضله بل واجمهم بقوله
، ما الذى أتى بكم اليوم أيها السادة ؟ . هل هذا اعتراف الاجانب من
مشاعركم ووجدانكم ؟ . يا للأسف . . . لئننى لأرفض أن انتشى معكم على
خمر أجنبية . .

وحز هذا الرد الجاف في نفوس الهنود ، ولكن أحد السياسيين
الظلماء دافع عن طاغور دفاعا مجيدا بقوله ، لا يستطيع رجل في مركز
طاغور وفي مثل رهاقة حسه أن يكون أقل غضبا منه في مثل هذه
الظروف ، .

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٩١٤ عقد اجتماع
خطير في البرلمان الهندي قلد فيه الورد ، كارهيشيل ، شاعر الهند الاكظم
طاغور وسام الجائزة والشهادة الخاصة بها . . . وعاق طاغور على ذلك
بقوله ، إنه تقدير يدل دلالة واضحة على مدى الفهم الذى قرب البعيد
وجعل من الغريب أخا ، .

وأسرعت الجامعات الهندية بمنح طاغور درجات عليية رفيعة فنحته
جامعة كلكتا في ديسمبر عام ١٩١٣ دكتوراه الشرف في الآداب وتبعتها
جامعة داكا ومنحته حكومة الهند أيضا أرفع الأوسمة في يوم عيد ميلاده
اعتراقا بما أسداه للهند والعالم من فضل عظيم .

وطنية طاغور . .

بدأت الحركات الوطنية التحررية تأخذ مكانها في الهند في منتصف القرن التاسع عشر ، ومهدت الطريق تمهيداً لنهضة شاملة ، وتحرير كامل . كان رائد هذه الحركة الوطنية المباركة المـراجـا رام موهان روى ، القائد الكبير الذى أشعل نار الوطنية في الهند .

وبالرغم من سيطرة الافكار الغربية وقتذاك على شباب الهند الذين كانوا يتأقون ثقافتهم البريطانية في الهند أو في إنجلترا ، فقد أهلوا أنفسهم لثقافة رفيعة ممتازة ، جعلتهم يطالبون بحقوقهم في الحياة الحرة الكريمة ، أو بمعنى أدق يطالبون بحقوقهم في إدارة بلدهم ، والسيطرة على مرافق الحياة فيه بدل الاجنبى الذى كان متغلغلا فى كل شىء ، مسيطراً على كل ناحية من نواحي الحياة فى الهند . .

طالب هذا الشباب الفائر بحقه السياسى بوحى من وطنيته المتدفقة التى جعلتهم ينادون لوطنهم بالتحرير والاستقلال من ريفه المستعمر وطغيانه ... ومن هنا بدأت حركات الثورة على الانجليز وعلى تفرقتهم العنصرية وتعصبهم الذمى ضد الهنود على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم .

وفى طلائع هذه الثورة بدأ طاغور يعمل بسرعة ونشاط ضد اللوردات البيض أو الآلهة البيضاء فى الهند . . فكتب أشعاراً ملتهبة

في ذلك منها ، الكانا ، والكاءاني ليزكر الهنود بواجبهم نحو وطنهم
المقدس وكذب مقالات ناربه ليجمع فيها كلمة الهنود على اختلاف
عقائدهم ، ويوقظهم من سباتهم العميق ليمشوا كبلد حر في هذا العالم .

وفي عام ١٨٩٠ بدأت خيوط النهضة تتجمع في يد رابندراناث
تاغور فقد أعلن سخاء النام على سيطرة الاجناس على بعضها البعض .
ووقف يناضل ويطالب بحرية الجنس البشري ، والرغم من أنه ظل
الشاعر المزهوب الذي يمجده جمال الطبيعة ، وينادي بعظمتها ، ويتغنى
بمجدها ، إلا أن شعور الوطنية الدافق لم يكن ميتاً فيه . فقد كان حرباً
شعواء على الحكيم الاجنبي في الهند مثله في ذلك مثل المهاتما غاندي وغيره
من مشاهير ارجال . واماكن طريقة طغر في حربه لمعبودية في الهند
كانت مختلفة تمام الاختلاف عن الطريقة التي يتبعها عادة رجال السياسة .

كانت طريقة طاغور كطريقة المهرابا رام موهان روى ، إذ كان
يحث الناس على عدم انتقادهم لرؤسائهم وحكامهم ، وبلغت نظرم
تدريجياً إلى ضرورة الإصلاح الاجتماعي والتعليم

رفض طاغور أن يشترك في أى حزب سياسى وأوقف قلبه
على خدمة وطنه ، وإن كان عدم اشتراكه في الهيئات السياسية لم يدم
طويلاً . فوطنيته المتأججة جرت به جرأ إلى مترك السياسة فهدأ عندما
هدد استقلال البنغال عام ١٩٠٥ فقد أرسلت بريطانيا اللورد كورزون
إلى الهند ، وكان معروفاً عن هذا الرجل شدة دوائه ومكره وريائه ،
ومعه خطة تجزئة البنغال إلى إقليمين ، وبالرغم من معارضة البنغاليين

على هذا التقسيم فقد أصر المورد الانجليزى على مسألة التقسيم وإقامة
إقليم أغلبه من المسلمين .

وكان الغرض الاساسى من هذه الحركة إضعاف الحركة التحررية
الناهضة فى الإقليم ذاته ، ومن ثم أثارت الرأى العام ، ايس فى البنغال
وحده بل فى جميع الاقاليم الاخرى ، وبدأت الحكومة الاجنبية تقمع
هذه الحركة التحررية بما أوتيت من قوة ومنعت اشتراك الطلبة
فى الحركات السياسية ، وحرمت عليهم الاجتماعات والتجمهر ، واسكى
تخيف وترعب الجماهير الساخطة ، وتحد من تأجيج الثورة فيهم سلطت
عليهم وحدات الجوركا العسكرية فى شرق البنغال بقيادة السفاح السير
فولر الذى أعلن للجماهير الزاحفة قوله المشهور : « إراقة الدماء امر
بسيط لن أتردد فى إصداره ... »

وواجهت خيبة الامل كبار رجال الإقليم فقد وجدوا أنفسهم طعمه
لنار الحقد والانتقام ، فاضطربوا تحت رحمة الظروف القاسية أن يذعنوا
للأمر الواقع ، ويتقدموا باحتجاج سلمى لاولى الامر من آلهة الانجليز ..

وعمد كبار رجال الهند العارفين بالرد على عدوان الانجليز بمقاطعة
بضائعهم ، والتمسك على تعميم التعاميم الاولى فى مختلف أنحاء البنغال ...
وعليه سنت القوانين والموانع لاتباع سياسة تعاليمية وطنية مرفقة لطلبة
الذين قهلو أو طردوا نتيجة لاشتراكهم فى الحركة الوطنية التحررية .
ووجد طاغور أن الوقت قد حان ، وأن حله الكبير قد تحقق

قائد مج في الحركة الجديدة اندماجاً ، وأعان على الملا الأعلى أنه أصبح قائدها ورائدها الأول . فبدأ بسلسلة مقالات ومحاضرات هامة ألهم بها شعور الشباب .. وألف الأغاني الحماسية التي كان لها أكبر الأثر على النشء البنغالي . فأصبح القائد الأول لهذه الحركة الوطنية ، وأول من نادى بالاستقلال التام يساعده في ذلك الزعيمان بين شاندرابول وأو روبيندو خوس .

وفي اجتماعات صاخبة أعان طاغور في جرأة عارمة بأن السياسة الإمبراطورية لتقسيم البنغال سواء من الناحية السياسية أو الثقافية لم يكن الغرض منها سوى إضعاف هوية التحرر الناشئة في الإقليم .. وليس من المبالغ فيه أن نقول بأن صراع طاغور في وقف مشروع التقسيم لم يكن هناك أقوى منه ولم يكن لقلبه من يضارعه في قوته وصولته وفي محاربه لبدعه الانجليز الذين يؤمنون بسياسة التفرقة .. ولكي يجعل من حركة التقسيم ذكرى لا ينساها البنغاليون أعلن الاحتفال بها في اليوم السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٠٥ ، أعلن فيه وحدة البنغال ، المعتدى عليه ، رغم أنف الانجليز .. وأمر بإجراء احتفال آخر هو الاستحمام في نهر الجانجيز اعترافاً بوحدة البنغال التي لا تتجزأ . وفي مساء نفس اليوم ألقى طاغور خطاباً سياسياً هاما حضره الناس فيه على ألا يستكينوا أو يهدأوا حتى يلغى التقسيم .

ولم يستطع طاغور أن يحافظ على زعامته هذه عندما وجد آراءه تتعارض مع آراء شباب البنغال التي كانت تعارض الحكومة . وكان طاغور يبت في الشباب روح الإصلاح الاجتماعي والعمل على تثقيف الرعام

في حين أن البنغاليين الثأري الدماء لم يعبروا دعوة طاغور كبير التفات بل فضلوا عليها الاشتراك والنزول إلى الممترك السياسى . فبدأ النزاع بين الشعب والشاعر . وكره الانباع مسالمة طاغور للأمور وكره الشاعر فيهم حركاتهم الطائشة السريعة ونتج عن ذلك أن انسحب طاغور من معترك السياسة والزعامة وعاد أدراجه إلى الوحدة والعزلة في مكانه المفضل ساندنيكيتان .

يقول السيرب . س . راى ، كان طاغور في مقدمة الحركة الوطنية يذمها بأغاييه الحماسية ويلهم شعور الرعاع بحقيقة التحرر وروعة التخلص من نير الاستعمار البغيض . كان طاغور حرباً شمواء على المادية والتعصب والنفرة العنصرية في الهند . عندما أقيم الاحتفال بتحقيق وحدة البنغال رغم أنف الحكام الأمرين كان ذلك من وحي طاغور وحده . .

وانتقد السياسيون انسحاب طاغور المفاجىء من معترك السياسة واتهم بالجن والهروب ولكن الشاعر قابل كل ذلك بهدر رحب وطيب خاطر ودافع عن هروبه بأن الاصلاح الاجتماعى فى رأيه أجدى من النزاع السياسى للحصول على الاستقلال التام .

واعتزل طاغور مسرح السياسة نهائياً وانقطع للشعر والتأليف والسفر إلى الخارج وإلكنه كان يراقب دائماً الحالة التى وصلت إليها الهند . . فى مارس ١٩٠٨ اكتشف فى مانيسكتولا مصنعاً للقنابل واعتقل أكثر من خمس وثلاثين بنغالياً بتهمة العصيان وقلب نظام الحكم وإحراز أسلحة لهذا الغرض . ونهض طاغور ليدافع عن هؤلاء المعتقلين واتهم

الحكومة بأن هذه الحركة الجديدة نتيجة حتمية لضغطها على حرية الناس
واتهمها أيضاً بالعنف والحكم الجائر الذي لا بد أن يولد الانفجار ..

وأعجب طاغور وأشاد في نفس الوقت بالوضعية الشريفة التي قام
بها بارندرا كومار غوش وصحبه في سبيل تحرير البنغال من يد الانجليز
الطغاة . وترنم طاغور بالروح الفدائية الوثابة وبالشهامة والرجولة الحقة
التي أبداهما شباب البنغال الذين محوا ما كان يقال عنهم بأنهم جبناء ،
خضعوا لرغبة الانجليز . فكانت النتيجة أن حطموا سلاسل الاستعمار
تخطيا ، ونسكوا بالانجليز في البنغال تنكيلا ..

وحشية الانجليز في الهند

في عام ١٩١٩ كان طاغور قد بلغ أوج مجده . ، واكتسب إعجاب شعراء وفلاسفة الغرب بعد أن منحه جائزة نوبل كما سلفنا كرَسُولَ للانسانية في كل مكان. وفي الوقت الذي كانت الحرب الكبرى قد أوشكت فيه على الهاية وانتصر فيها الانجليز وأعلنت الهدنة عام ١٩١٩ وكان حكام الهند الاجانب قد خرجوا من الحرب ظافرين وكان الهنود الذين أبلوا بلاء حسنا في معارك الحلفاء في العراق وفلسطين وأوربا، قد أخذوا يطالبون بالحكمة الذاتية وتصفية القواعد البريطانية التي كانت قد انتشرت في الهند أثناء الحرب. وبدأ الأفراد والزعماء الذين قادوا ارتزعموا الحركة الوطنية التحريرية في الهند بالمطالبة بهذه الحقوق علنا من بريطانيا بعد النصر الذي أحرزته في الحرب . ولكن الانجليز هم الانجليز لا تغير لحالهم أو تبديل ، فبدلا من عرفانهم بعمل الهنود وما أبلوه من بلاء حسن أخذوا الامبراطورية المعوز من الفناء والخراب ، ومات في سبيل ذلك الآلاف المؤلفة من الهنود ، عمد الانجليز الى إصدار قوانين صارمة لفرض روح الكبت والالزام . فأعطيت السلطات الواسعة الى رجال البوليس والحكومة المحلية لاعتقال وسجن وتشريد أى شخص يشتبه في سلوكه أو له صلة بأى حركة معادية قد تنشأ ضد حكومة صاحب الجلالة ملك الانجليز. أو من شأنها أن تهدد السلام الداخلى في الهند. وكان الغرض الاوحد لسن هذه القوانين الصارمة هو القضاء على أى محاولة لإيقاظ الشعور الوطنى بين الهنود. هذا

الشعور الذى عمل الانجليز منذ احتلالهم للهند على كبتة وإخفائه ومحوه من نفوس الهنود بشت الطرق والوسائل ولا يخفى علينا كمصريين ما كان يفعله المستعمر البغيض من بث روح التفرقة بين أبناء الوطن الواحد لاضعاف روح الوطنية المتأججة فى نفوسنا .

قال المهاتما غاندى يصف هذه القوانين الجائرة ، أن المقصود بهذه القوانين سلب حقوق المواطنين وسلب حريتهم الحقة واذلال نفوسنا ، وطالب المهاتما غاندى شعب الهند بالاضراب العام احتجاجا على زكمران الانجليز للجميل ، وطالب اليهم أن يحتجوا بشدة على صدور هذه القوانين التمييزية . . . ونفذ الشعب تعليمات غاندى الشىء الذى أفقد الحكومة رعاياها أحداث تحرشات واصطدامات مسلحة فى حيدر آباد ودلهى وأمر ستار راح ضحيتها أبرياء كثيرون وشهداء عديدون . . وشهدت آرمستار أعنف وأفظع تعذيب على يد حكامها الطغاة ، الذين لم يقتنعوا باعتقال عدد كبير من السياسيين بل قام الجنرال داير بموافقة السير ميشيان أودوير حاكم البنجاب العسكرى بهجوم عسكرى سرى على جاليندوالا باخ . وأعلن عقد اجتماع عام فى باخ فتجمهر ألوف من الشباب والشيوخ والنساء والاطفال على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ودخل الجنرال بلدة باخ من مدخل ضيق ومن غير إنذار أطلق ألما وستمائة طلقة مدفع رشاش وفى أقل من لمح البصر أصبح الجمع الخفير أكواما من أشلاء الجثث والقتلى . ويقال أن أكثر من أربعمائة شخص قتل وأكثر من ألف جريح . ويقال أيضا أن الجنرال الشجاع والقائد الذى لا يشق له غبار والإله الأبيض المسيطر على أقدار الناس لم يأمر بالكف عن إطلاق المدافع الرشاشة حتى انتهت

الذخيرة من بين يدي رجاله الأبطال . وجه أحد المحققين سؤالا لهذا الجنرال الشجاع بقوله - ألم يكن القصد من هذا الاجتماع هو تخويف الجماهير وتهويلهم ؟ فرد عليه القائد الصنديد بقوله - لا ياسيدى لم يكن ذلك هو القصد - لقد كان عبئا ثقيلا وكان على تنفيذه ، لقد كان شيئا بشعا .. قالت في نفسي لا بد أن أقتل وأقتل في الصميم ... حتى لا أترك الفرصة لغيري بأن يقتل ويبيد الجماهير . كان سهلا على أن أفرق الجماهير من غير إطلاق رصاصة واحدة . ولكن كان من السهل على رؤسائي أن يسخروا مني إذا فشلت . فلم أشأ أن أكون أضحوكة لهم .

وكان لهذه المذبحة أثرها العميق في مختلف أنحاء الهند . . ان التاريخ لم يشهد حتى في أقصى عصور الظلام مذبحة كذبحة باخ . والظالم والطغيان اللذين عرفت بهما المذبحة الآلية ، اتى راح ضحيتها مئات بل ألوف من الأبرياء وعدد كبير من النساء والأطفال لا لجريرة اقترفوها ، بل لأنهم طالبوا بحقوقهم في الحياة كبشر .

فكر غاندى بطريقته الخاصة في حمل البرلمان على أن يثور على الحكومة الخاطئة وكذلك أهالى الضحايا الذين كانوا على أهمية الاستعداد لتنفيذ أى حركة يقوم بها غاندى ، وكان طاغور يتبع تطور الأحداث باهتمام زائد . وقد آلمه طغيان الحكام وهزته مذبحة باخ هزا عنيفا وأخرجته من عزلته وصومعته ساخطا نادما محتجا على الطريقة التى عومل بها الهنود وأظهر شعوره فوراً وذلك بأن خلع النياشين البريطانية التى منحت له وردّها الى اللورد تشلرز فورد وأرفقها بهذا الكتاب البليغ .

• يا صاحب السعادة .

إن الاساليب الوحشية التي اتبعتها حكومة البنجاب لقمع حركة أهلية قد كشفت لنا نحن الرعايا الخاضعين لشرعية بريطانيا العظمى عن ضعفنا الكبير . وأن القسوة التي اتبعت في عقاب الجماهير الأبرياء والطرق التي طبقت في إقنائهم أثبتت لنا بأنه لا مثيل لها في تاريخ الحكومات المتعددة بل أقول لم يكن لها نظير في تاريخ أبشع العصور وأظلمها..

وبالنظر إلى أن هذه الوحشية قد عوهد بها الجمع الغفير من الناس العزل من السلاح ومن وسائل الدفاع عن أنفسهم ، على أيدي المدمرين المخربين فإننا نحتاج بشدة وبعنف ولا نقبل أي رد على هذا الطغيان المقصود . إن الآلام التي يعانيها إخواننا اليوم في أنحاء البنجاب قد امتدت إلى كل ركن من أركان الهند ، والسخط العالمي على العالم قد ثار في قلوب شعبنا فتذكر له قوادنا ، وأغاب الظن أنهم يهتثون أنفسهم على ما أبدوه من شجاعة ورجولة وبطولة منقطعة النظير في المذبحة الشنعاء .

لقد امتدحت الجرائد الانجلو هندية القساوة البالغة التي اتصفت بها المذبحة المديرة وذهبت الجرائد إلى أبعد من ذلك بأن سخرت من آلامنا ونكبتنا وهي تعلم حق العلم بأن صيحتنا وسخطنا واحتجاجنا قد ذهبت جميعها أدراج الرياح ، وأن شهوة الانتقام عمياء لا تبصر، قد أعمت الحكومة فأصبحت لا تفرق بين الغث والسمين .. أو بين العمل الصالح والعمل الفاسد والشيء الذي أستطيع عمله من أجل وطني ومن أجل قومي

هو أن أعود باللائمة على نفسى .. وأن أرفع صوت الملايين من أبناء
شعبى محتجاً على الوحشية والتعسف والظلم الذى لقيه أبناء وطنى فراحابكم
أخذتُ حان الوقت الذى ظهر فيه أن نياشينكم ما هى إلا عار وحقارة
ومثلة ومهانة لمرتديها ، وأنا من ناحيتى أحب أن أقف مجرداً منها بجوار
أخوانى وأبنائى ومواطنى وأهل الذين هم عرضة للتجربة والتبديد والتهديد
والتشريد من أجل كرامتهم وحريتهم .

وهذه هى الأسباب الاليمية التى دعتنى وأجبرتنى على أن أسأل صاحب
السعادة بكل نحر أن يعفينى من وسام الفروسية الذى تسلمته من صاحب
الجلالة ، على يد سلفك الذى كانت طيبة قلبه مصدر إعجابى واعزازى .

لكنكتافى ٣٠ مايو ١٩١٩

« رابندراناث طاغور »

وبهذا الرد المفحم لم يعرض طاغور لوطنيته الصادقة لحسب . بل
كشف للعالم بأن الهنود وقد مر على احتلالهم أكثر من مائتى عام
لا زالوا يتمتعون بخاق كريم وأصل عريق عن هذه الامة المتمدينة
المتحضرة التى أغدقت على نفسها صفات العظمة من غير حساب ، فأطلقت
على نفسها اسم بريطانيا العظمى ، ثم طفق كيل هوسها ، فنازعت الطبيعة
سلطانها ، وأطلقت على نفسها أيضاً .. بريطانيا التى لا تغرب الشمس عن
ممتلكاتها كأنى بها قد ملكت العالم من أدناه إلى أقصاه ، وكادت تنصب
نفسها وحاشا لله ، إلها على العالمين .

كان وسام الفروسية أرفع وسام منح لهندي تحت الحكم البريطاني .
ولكى يحصل عليه الانسان ، لابد أن يكون رفيع الشأن كشاعرنا ،
أو عبقرى فى نظر الناس وفى نظر الحكومة أيضاً ، أو يكون آله لا يمكن
الاستعاضة أو الاستغناء عنها فى نظام الاستعمار البريطانى .

كان لا يحصل على هذا اللقب إلا القلة القليلة من علىة القوم وأصحاب
الملايين والأمراء الذين كانوا يتقاتلون ويستमितون فى الحصول عليه بشتى
الطرق والوسائل ..

أما طاغور فلم يبهـه اللقب ولم يستهـه لمعان الوسام ، لأنه كان وطنياً
من الطراز الأول ، بل كان أفضل من مئات من الوطنين الذين زجوا
فى أعماق السجون ، لأنه كان مثالا نادراً للانسانية فى أجلى وأسمى معانيها
ولأنه كان أول من يقف فى سبيل نصرة الانسانية والعدالة ويدافع عن
مواطنيه العزل فى أى بقعة فى العالم فى جراحة نادرة ، وفى حماسة ظاهرة ،
وفى بأس وعنف .

لم يكن طاغور من النوع الذى يسكت على إذلال الانجليز لمواطنيه،
أو تحقيرهم لبني وطنه، كان أهون عليه أن يضحى بكل عزيز لديه فى سبيل
وطنه ومواطنيه .

لقد عز على طاغور أن يرى النكبات تتوالى على الهند، وتسب القوازين
والشرائع لحماية الضباط الذين اشتركوا فى قمع ثورة البنجاب . وأن تظهر
الحكومة عطفها على الجرائد التى أشادت ببطولة رجال المذبحة من
الانجليز وفى كتاب له إلى صديقه أندروز يقول :

« إن النقاش المفتعل الذى دار فى البرلمان ، يحز فى نفوسنا حزاً ويؤلمنا ألماً بالغاً لما ينطوى عليه حكم الطبقة الحاكمة فى الهند من عنف وخيانة .. إن أحاديثهم الجوفاء التى تطبل لها الجرائد وتزمر لا تخيفنا على قباحتها . إن شعور الكراهية للاستعمار الانجليزى فى مجتمعنا قد نما نمواً سريعاً خلال الخمسين سنة الماضية وإن عزاءنا الوحيد فى محنتنا هو إيماننا الصادق وحبنا الحقيقى للعدالة متمثلة فى الشعب الانجليزى الذى كنا نظن أن روحه لم تنسم بعد بجرعة القوة الغاشمة التى تكتسح الإنسانية وتفتنها .. ولكن ما قد سرى الدم كالنار فى الهشيم ، فى كل أعضاء الأمة البريطانية ، .

لم تكن هذه هى المرة الاولى التى ثار فيها طاغور على الانجليز ، ففي أخريات سنه ، وهو مريض وقبل موته بشهرين أى فى ٤ يونيو ١٩٤١ احتج وهو طريح الفراش على ما قامت به الأنسة راثبون ومطالباتها تمضيد البرلمان لها بفض الحياة الدستورية فى البلاد . « لاننا اليوم فى حرب مع أعدائنا ، فهؤلاء القواد وأتباعهم يعملون ما فى وسعهم لإنهاء الحرب بكل الطرق الممكنة ، وهم فى ذلك يلعبون دوراً قريباً دور الحلفاء والأعداء ، .

وفى خطابها حاولت أن تشين من حركة زعماء الهنود ، ومن بينهم جواهر لال نهرو ، الذين كانوا يطالبون بالانفصال عن الكومنولث وفى ذلك تقول « وأنت يانهرو يامن أحببت انجلترا .. . أى قدر تهيوه بأفعالك وساطانك لانجلترا التى أحببتها .. . شى واحد واضح وضوح

الشمس في رابعة النهار هو أنك وغيرك من قواد الهنود را الاتباع تدينون لانجلترا ، لانكم اطفأتم ظمأكم من مناهل الفكر الانجليزى وانكم تدينون للغرب والمعلمين الانجليز الفلاسفة منهم والعلماء وكذلك رجال الاجتماع والسياسة . إننا لا نلوم الهنود عند وضعهم الهند في المكان الاول ولكن أى خدمة يؤدونها للهند إذا هم قاومونا ونحن في حرب عالمية مع أعدائنا، ولنفرض أن مقاومتمكم لنا قد أكسبت الحرب لالمانيا وإيطاليا واليابان فهل هذا معناها الحرية والاستقلال للهند ؟ في أغسطس عام ١٩٤٠ ، كتب جواهر لال نهرو يقول : إننا على استعداد لمجابهة المصاعب والاضطراب ... أننا لا نرغب فيما يسمونه حماية الجيش والبحرية الانجليزية لنا . . . إننا سنحمي أنفسنا بأنفسنا . . . إن هذه خرافة وأية خرافة ، فالامة التى تستطيع أن تحمى نفسها لا بد لها من استعدادات طويلة . . . والاعداء المنتصرون لا يعطون ضحاياهم الوقت الكافى . . فإنهم سيجابون على الهند الخراب والدمار أكثر مما كان فى دآمر ستار . .

اعتبر طاغور خطاب الآنسة راثبون دعوة للمنازلة . وطعنة نجلاء صوبتها الى قلب الهندوهو طريق الفراش فرد على راثبون بكتاب يعتبر غرة فى جبين التاريخ والادب الهندى .

د لقد آلمنى خطاب الآنسة راثبون المفتوح الى الهنود . . ولست أدري من هى راثبون هذه . . ولكنى اعتبرها بمثابة للانجليز . نخطابها موجه الى جواهر لال نهرو الذى لو لم يكن بيميننا وراء قضبان سجون بنى جلدتها لاستطاع أن يفحمها الرد القاطع . وسكوته هذا يدفعنى الى أن أرفع صوتى بالاحتجاج وأنا على فراش الموت .

لقد أساءت السيدة لقومها بتوجيهها مثل هذا الخطاب إلى الهنود .
إنها تفضح عدم عرفاننا بجميل قومها . الذين نهلنا من أفكارهم .
إن لدينا أفكارنا الأصيلة .. ولكن ياسيدتي أية أفكار هذه وما هي
المحاولات البريطانية تحاول أن تمت فينا كل ناحية لها صلة بالفكر .
كنا نستطيع أن تنهل من أى مورد أوروبي آخر وهل انتظر الناس
الآخرون الانجليز لكي يصفوا على حياتهم النور نور المعرفة
والعرفان ، .

أنه لمن المؤسف حقاً أن يظن الانجليز أنهم لو لم يعلمونا لظلامنا في ظلام
العصور وفي جاهلية مطلقة ..

إن الانجليز لم يجلبوا معهم للهند غير أسوأ طرق التعليم وأخطأها .
ولنفرض جدلاً أن اللغة الانجليزية هي مصدر الهامنا ومعرفتنا وأنها
قد عمرت في الهند أكثر من مائتي عام ، فأى تأثير كان لهذه اللغة على
مستوى تعليم الهنود .. إن واحداً في المائة يعرف الانجليزية في الهند
ياسيدتي ، في حين أنه في الاتحاد السوفيتي وبعد خمسة عشر عاماً من
تطبيق النظام السوفيتي أصبح عدد المتعلمين فيه ٩٣ ٪ .

ماذا فعل الانجليز للهند بعد أن استعمروها أكثر من مائتي عام ؟
لقد مصوا دماءها واستنزفوا خيراتها وجعلوها قاعاً صافصفاً .

ماذا فعلوا لفقرائنا .. اننى أنظر حولي فأرى الأكف تجار بالشكوى
وتضج بالصراخ من أجل لقمة العيش . لقد رأيت نساء في القرى يحملن

الطين من أجل قطرات قليلة من الماء لأن الآبار في الهند أندر من وجود المدارس بها .

« لأنني أعلم حق العلم أن انجلترا تعاني اليوم مجاعة وضيقاً ، وآلم لذلك ، ولكنني عندما أرى البواخر الانجليزية ورجال الاسطول الانجليزي يفرغون على الشواطئ الانجليزية خيرات بلادنا ويتركوننا نموت جوعاً وعرياً فأنني آلم كذلك لهذه الحال الذي وصلت إليه بلادنا على أبدى أترابك أيتها السيدة الانجليزية .. »

فهل نكون إذن ممتنين للانجليز ؟

أنظر حولي فأرى السخط العام يتأجج في صدور الملايين من أبناء قومي ..

أرى كرامتنا قد طمرت في التراب ، وأرواحنا تذهب هباء ، وممتلكاتنا وخيراتنا تنزع منا في وضوح النهار ، ونساؤنا يتمرغن في الوحل ، أرى الجيش الانجليزي العظيم لا يحرك ساكناً ..

فقط يدوى الصوت الانجليزي من وراء البحار باللائمة علينا ..

إن كل انجليزي في بريطانيا اليوم مسلح ليحمي نفسه وبيته ضد العدو ، ولكن في الهند ماذا أقول .. كل شيء محرم على الهنود .. حتى الدفاع عن أنفسهم فشعبنا قد ترك هكذا محروماً من كل وسيلة دفاعية ليظل دائماً تحت رحمة الاسياد المساحين ..

إن الانجليز يكرهون النازيين لتفوقهم عليهم ، وتوقع الآنسة
رائبون منا أن نقبل أيادى قومها فى عبودية ذليلة ..

ليس الحال أن الانجليز غرباء فى ديارنا ، ولا يجدون ترحيباً منا ،
وأن لا مكان لهم فى قلوبنا .. وأنهم يظهرون بمظهر الرقباء على مصالحنا
ولكنهم مع الأسف خانوا الأمانة ، وضحوا برقاھية وسعادة الملايين
فى الهند فى سبيل سعادة فئة قليلة من الرأسماليين منهم خارج الهند ..

كنت أظن أن الانجليزى العاقل سوف يقنع بالسكوت والصمت
الطويل ويدتر على عيوبه وأخطائه .. ويعترف بفضلنا عليه ..

واكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .. فسبنا واعدنا ، ورش
الملح على جروحنا وتنكر لاسياده ..

كانت حياة طاغور مليئة بهذه المواقف المشرفة . عندما ثور فيه
ال عاطفة ، وتتأجج فيه الوطنية ؟ . كان طاغور نبياً فى تصرفاته وعلى
الاخص عندما كانت تهز شعوره المرهف آلام الملايين من أبناء جلدته .

كان طاغور يحب وطنه من كل قلبه ومن كل فكره .. تغنى بمجده
فى أشعاره العظيمة ، ولا تزال أشعاره تهز الأفتدة والقلوب فى الهند
لاسيما فى أحلك ساعات الصراع السياسى .

كتب غاندى كثيراً فى السياسة ، وكشفت مؤلفاته للعالم الخارجى
حالة الهنود المؤلمة تحت ظل الاستعمار الانجليزى . وبما أنه كان زعيما

سياسياً لحزب سياسى فإنه كان يعد مشايخاً فى نظر أعدائه ولذلك كان وضعه يختلف عن وضع طاغور . . . إذ كان الأخير رجلاً عميق التفكير عظيم الروح، فوق مستوى الساسة جميعاً لذلك كانت كلماته وآراؤه، وأشعاره بمثابة آيات تصدر عن نبي . ومن المعلوم أن ما أداه طاغور لبلده فى كشفه لحقيقة الاستعمار الانجليزى فى الهند ليفوقن الوصف . لذلك فإن مكانه أسمى من أى مكان لكاتب أو شاعر أو سياسى ظهر حتى الآن فى تاريخ الهند .

إن مكانة طاغور كوطنى من الطراز الاول لا تتعارض مع مكانته الدرامية فحبه لوطنه كان جزءاً من حبه للبشرية جمعاء .

كان طاغور يؤمن إيماناً متيناً بأنه ليس من حق دولة أن تسيطر على دولة أخرى وتخضعها وتتميت فيها روح العدالة والمساواة . كان طاغور إذا رأى الظلم متفشياً فى دولة ما يحكم كونها محكومة على يد دولة أكبر منها وأقوى فإنه كان لا يتردد فى الوقوف فى صف الدولة المظلومة ورفع صوته بالاحتجاج الصارخ على الظالم ضد المظلوم . من ذلك أنه تألم من ظلم موسولنى للحبشة وطغيان النازية فى أوروبا . ومن أجل هذا دعتة اسبانيا والحبشة والصين بالصدى المخلص العظيم الذى وقف مع كل منها أيام محنتها . وأن الهنود ليدننوا له بالوطنية والولاء . وأنه كان فى نظرهم أكثر من وطنى وأكثر من شاعر وأكثر من نبي .

طاغور والحضارة الغربية

انجبت البنغال شعراء كثيرين تمتعوا بشهرة واسعة ، لكن طاغور وحده هو الذى أثر على الفكر والادب البنغالى تأثيراً كبيراً .. فقد ساهم بنصيب وافر فى إحياء الهند الجديدة . وخدم الإنسانية أجل الخدمات فى جميع أنحاء العالم ، عن طريق أشعاره الساحرة ومبادئه الفلسفية الخالصة فى كل ما يتعلق بالمشاكل الإنسانية ..

.. وشهرة طاغور اليوم تملأ العالم من أدناه إلى أفصاه وكتاباته لم تقتصر على البنغال بل كانت للعالم أجمع مصدراً للنور ، ومنبعاً للرحمة وخلاصاً للنفوس .

كان الشاعر الانجليزى أوسكار وايلد يظن أن الغرض من الشعر هو ملء جوانب النفس بالفرح والنشوة .. وإمكن الشعر عند طاغور كان له مغزى آخر أعمق وأدق . فعنده أن التقدير النفسانى للجهال هو مصدر الوحي والإلهام .

فأغانيه كانت منسوجة من نسيج العواطف والشعور بالوطنية والمبادئ الثورية . وفى وقت قصير استطاع طاغور أن يخلق لنفسه اسماً لا مما ككاتب للقصة القصيرة والدراما والرواية وكناقد وفيلسوف

ولكن شهرته الأساسية كانت تدلّو ر حول موهبته الوجدانية التي أثرت
تأثيراً كبيراً على اتجاهات الادب في العالم كله ..

عالج طاغور كل موضوع جامد أو مانع كما عالج الموضوعات
السياسية والاجتماعية ، الاهلية منها أو العالمية فسرّه للناس بطريقته
الخاصة فأصبح الموضوع الجامد أو المانع متمنطقاً بلباس الخلود ..

كل محاولات طاغور سواء في الشعر أو النثر وسواء كتبت في عهد
متأخر أو عهد متقدم فإنها تبدو جميعها وكأنها تميط اللثام عن الغار
القلب البشري ، لما امتازت به من عمق في فهم النفس البشرية ، وقد
طرق طاغور كل ما يختص بالحياة الإنسانية ، وكل ما يهم البشرية وهو
في كل ما تناوله يده لم يتخل عن المثالية المطلقة ..

وهو في حياته الخاصة كان ابناً باراً وأباً عاطفياً ممتازاً ، وزوجاً
مخلصاً أميناً ، وسيداً مرهوب الجانب ..

وهو في قدرته الخلاقية كان وطنياً نبيلاً ، ومصلحاً ، ومعلماً عظيم ،
وقائداً مثالياً . وكان في وضعه العالمي صاحب رسالة السلام والحرية
 والمحبة .. وهو كما يقول د كاي سيرانج ، « كان رجلاً عالمياً بل أكمل
مخلوق بشري » ..

كانت أميز ناحية في طاغور قدرته على اكتساب صداقة أعنف
النقاد في الهند لأنه كان منذ حداثةه يعشق بساطة الحياة ، فلم يجدوا فيه
تعقيداً .. كان بسيطاً في كل شيء ، في ردائه ، وفي حركاته ، وفي نظرائه .

حتى لحيته البيضاء الطويلة كانت مصدراً لاحترام الناس له وكان مجرد رؤياه يوحى للنفس منظر نبى من أنبياء الهند القديمة ..

تدرج شعر طاغور في أطوار كثيرة . ففي صدر شبابه كان شعره عاطفياً . وفي سنواته الوسطى اصطبغ شعره بصبغة حزينة وفي سنواته المتأخرة رجع طاغور إلى عصره القديم إلى أيام شبابه فامتاز شعره بالضحكات وامتزجت بحوره وقوافيه بالنشوة وبقوة الشباب فصدحت موسيقاه ..

كانت فلسفة طاغور في الحياة تعتمد على أسس الروحانية . أحب طاغور العالم لأنه خالق لغرض أسمى هو خدمة الحياة وقيادتها وحبا .. يقول طاغور :

أيها العالم احتفظ لى بكلمة في غياهيك ..
عندما أموت ، أعلم أننى قد أحبينك ،
ويقول في موضع آخر ، عندما لا يعرف الشخص علاقته بالحياة فإنه يعيش في سجن حوائطه غريبة عليه ، وعندما يكتشف الروح الخالد في كل شئ إذن فقد اعتق من سجنه ، لأنه قد اكتشف أسمى أغراض الحياة التى فيها ولد وعندئذ يجد نفسه وقد عرف الحق ولماذا خاق ، .
ويقول أيضاً ، إن حق السيادة هو حق البشرية .. هذا هو الحق الأعظم فإذا أفسد الناس هذا الحق ، وإذا تقيد الناس بحكم العادة حتى لا يخطئوا فى حكمهم أو إذا حطم الناس طرقهم حتى لا يسIRON بعيداً

فإن هذه الأمة هي أكبر أمة ترسفت في أغلال العبودية والذل تحت ستار التقليد أو الدين . .

سخط طاغور على شباب الهند الذين كانوا يعتنقون المذاهب الغربية الأوروبية ويتنصلون من ماضيهم المجيد وهم في نظره قد أعمتهم الحضارة الغربية وخذعتهم مظاهرها ، التي تحيل الأخضر يابساً وتجعل العسل مرأ كالعقم . . .

وأراد طاغور مرة أن يشير حماسة البنغاليين ، ويحيي فيهم روح التضحية والكرامة لمخاطبتهم قائلاً : أيتها البنغال الأم . . إن لك خمسين مليوناً من الأبناء . . ولكنك لم تجعل منهم رجالاً . . .

كان طاغور محباً للموسيقى بل كان موسيقاراً أيضاً . . لقد كتب أكثر من ألفي أغنية خلال حياته ترجم معظمها إلى جميع اللغات المعروفة . وكان فناناً عرضت له لوحات في باريس وبرلين وموسكو وقد قوبلت جميعها بتقدير عظيم . .

كان طاغور مرهف الحس لدرجة أنه كان يفضل الموت على حياة المذلة أو الهوان . . وفي ذلك يقول : إذا أردت الكرامة ، إذا أردت الحياة ، فالحياة هي أن تضحي أولاً . . .

ونظام الاتعاونية في نظره هو الاستجداء من الحكام . والاستجداء كما يقول لا يجلب الحرية . . فالمعتدلون في بلادنا يستجدون منهم وأيادهم مطوية . . والمتطرفون يستجدون وعيونهم محمرة بالغضب

وهذا هو الفرق بين الاثنين . . فالسابقون يهزون ذبولهم أمام أسيادهم
والاولون يذبحون . . والمعتدلون يظنون أنهم حكماء والمتطرفون يظنون
أنهم أبطال . . ولكن اللكمات من أيدي الانجليز والركلات من أقدام
الانجليز تنال بالتساوي على ظهور الاثنين . . والفضلات من موائد
أسيادهم تتساقط لهم بالتساوي وهم يتزاحمون ويتقاتلون على التقاطها . .
وايس لديهم الوقت الكافي لخدمة بلادنا . فاعمل الصحيح يظل مهملاً .
وتحت سيطرة هذه الظروف تكون الركلات من أقدام أسيادهم أثمن
عندنا من فضلات الموائد . . فالموت أفضل لنا من أن نمد أيدينا لنأخذ
بها هبات من مثل هؤلاء الناس البريطانيين . .

في كتاب له لصديقه س . ف . أندروز يقول : دعنا ننسى المسألة
البنجابية ولكن لا ننسى أننا لن نرضى بالذل بل سنعيد الأمور
إلى نصابها . لانتهم بأمواج البحر ، بل اهتم بالشقوق التي في قاربك . .
فلسياسة في بلدنا حقيرة متواضعة . لها ساقان . . أحدهما قد تقلصت
وشلت تماماً تنظر إلى الأخرى لتجرها في ضعف . . ايس هناك انسجام
بين الاثنين وبين سياستنا . . ففي قفزاتها تتعثر وتقع وهذا هو المؤسف
حزناً . .

ثم يقول : مع من سنحارب ؟ مع هذه الصخرة التي لم تمسحها دماء
يسوع . . كيف نغزوها ؟ بالاجتماعات أم بالاستجداء ؟

كان دين طاغور هو دين الانسانية . كان يدين بمذهب الفيدا وكتاب
'هنشوس المقدس' ، كان يكره التشيع لطائفة أو لحزب معين .

« فالشيعة مادية متطرفة . تنفث في عقول أعضائها احساس الغيرة والانفصال . إنها عدو للحق والدين » . . .

كان تأثير طاغور أيضاً كبيراً على الهنود المسلمين . وكان ينصح الهنود جميعاً بأن يلتقوا مع إخوانهم المسلمين في محبة وإخاء . . . وكان يعتقد اعتقاداً صريحاً بأن ما ساهم به المسلمون في إحياء الهند وبعث قوميتها لا يمكن إهماله وفي ذلك يقول « جاء المسلمون إلى الهند من الخارج . ومعهم ذخيرة من المعلومات والشعور وديمقراطية الدين الاسلامي الخفيف . ففي موسيقانا وفنوننا وآدابنا ساهم المسلمون بنصيب كبير » . . .

« فإذا اجتمعت الكلمة ، وتقاربت القلوب في المجتمع الكبير على اختلاف طوائفه ومذاهبه فإن الحرية لا بد أن تطرق أبوابنا بعنف . . .
« ليس هذا تصوير أو أضغاث أحلام ، بل هو الرأي الصحيح الذي لا بد أن يكون . دعنا لا نفرط في قوانا ، وأدر ظهرك إلى القلوب الجامدة قلوب الانجيز . . . فيأبها الهنود . . . أيها المسلمون . . . أيها المسيحيون . . . تعانقوا واتحدوا ، واطردوا العدو من بلادكم . . . لانه لا بد لكم أن تنتصروا على الظالمين » . . .

كان الشاعر يطمع دائماً أن يرى بلاده عظيمة حرة مستقلة . كان يمل أن يرى اليوم الذي تتحطم فيه قيود الظلم والطغيان ، ولكن الحياة لم تمهله ولم تحقق له أمله . . .

كان طاغور لا يحبذ اشتراك الطلبة في الامور السياسية . وكان يعتقد أن الطلبة يمكنهم أن يؤدوا خدمات جليلة الى وطنهم وذلك بتعليمهم السواد الأعظم من الاملين وفي ذلك يقول : « علومهم ليتقفوا ويحموا أنفسهم لأن هذا هو الطريق الوحيد . علوا الفلاحين ولا تنظروا لمجد زائل أو مال مصيره الفناء . بل اطمعوا في انفسكم قد وهبتم هؤلاء الحياة .

لا يفوتنا أن نذكر علاقة طاغور بالمهااتما غاندى ونعرض لشخصيتهما عرضاً خاطفاً .

كان بين طاغور وغاندى اختلاف ظاهر . فالشاعر لم يكن ليخفى شعره إذا ما لم يعجبه عمل من الاعمال أو قول من الاقوال أو حركة من الحركات . فعندما أعلن غاندى عام ١٩٢١ عن حركته اللاعناونية لم يوافق طاغور على ذلك لأنه اختلف معه اختلافاً كبيراً على طريقة مقاطعة التعليم . . . وحتى في الايام الاخيرة عندما رفض غاندى معاونة صبحاز شاندرابوز ، أكبر مقاتل في سبيل حرية الهند ، حذر طاغور من سوء مقبة ما هو فاعل .

وبالرغم من كل ذلك فقد أحب طاغور المهااتما غاندى وكان يمكن له كل احترام وتقدير . يقول طاغور : « اننى اختلف مع غاندى في أمور كثيرة ، ولكنى أقدر الرجل وأجله . انه ليس فقط الرجل العظيم في الهند ، . . بل انه أعظم رجل في العالم اليوم ،

درس طاغور الغرب دراسة وافية ، واعتقد كثير من الغربيين أن

الشاعر لا يكن لهم أية صداقة لأن نقده لطاقتهم وعاداتهم كان مريراً
ساخراً . ولكن ليس هذا هو الواقع لأنه كان صديقاً للإنسانية جمعاء ،
وعلى الأخص للمستعبدين والفقراء .

كان طاغور عدواً لدوداً للظلم أينما وجد . كان رسولاً للسلام وداعياً
للحرية ومحبة الناس كانت له القدرة على فهم القلب البشري ، ومنحه الله
عز وجل قلباً كبيراً وخلقاً كريماً .

ويقول طاغور : عندما يسير مجرى المثل من الشرق إلى الغرب
يسمع لحرير مياهه عذوبة تفرح لها روحى . إننى أشعر بسعادة طاغية
عندما أجد أن الحق الذى يعيش فيه الفكر الهندى قد ترجموه إلى لغات
مختلفة فى جهات من العالم مختلفة ..

وإذا كان طاغور قد سنخض على العالم الغربى لفسوته وتعصبه الزنيم
فقد فعل ذلك أيضاً مع مواطنيه فى كل مناسبة دعت إلى ذلك ..

وأخيراً كان طاغور محباً للصالحات ، عدواً للوبقات سواء كان
ذلك فى الهند أو فى الغرب .

حلل طاغور الغرب بقوله : عابد نفسه .. مساوم فى سوق الربح
والقوة ، ، ، تعمل الهند على وحدتها ، ويعمل الغرب على تفرقتها ..
تعمل الهند على توطيد علاقاتها مع الآخرين أما التفرقة فهى من عبقرية
الغرب ، ، الهند تحترم الرجال أما الغرب فلا يحترم غير الأعمال ..

تريد الهند الحرية للجميع . أما الغرب فلا يرغب في الحرية إلا لذاته
« دين الهند شامل جامع أما دين أوروبا فلا يتعدى أسوار الكنيسة ،
خارب طاغور مادية الغرب حرباً ضروس - في ذلك يقول كثير من الناس
يظن أنني أتحدث كثيراً عن مادية الغرب وأقارنها بالكفاءة الروحية عند
الهنود والواقع أنني لا أفعل ذلك عن عمد . لأنني أعرف الغرب وأعرف
أنه يحقر الأفكار الروحانية في حضارتنا . وفكرتي تتلخص في أنه هناك
كوكب عظيم مسلط على أفكار هذا الجيل . كوكب عظيم بجاذبيته يحط
من قدر أفكارنا ويسير في اتجاه غير اتجاه عالمنا .

وفي سنواته الأخيرة كان الشاعر قد فقد الأمل في عدالة الغرب وعلى
الأخص عدالة الانجليز الطغاة الذين كانوا يدعون بأنهم حماة الحضارة
في العالم .

وعند بلوغه الثمانية من عمره ألقى خطاباً هاماً يعد من أروع ما قاله
طاغور في الانجائز وفي الإستعمار وفي الغرب على العموم .

« ولدت في جو مشبع بالآداب وكان طبيعياً أن أجلس الانجليز
على عرش قلبي ... كان هذا هو الحال في أول عهدي بالحياة . ثم دار
الفلك وتغير الوضع ، ووضحت الأمور على حقيقتها واكتشفت كيف
أن هؤلاء الذين اعتنقوا مبادئ الحضارة العليا طمروها في التراب عندما
طالبنا بحقنا في الاستقلال والحياة الكريمة ..

« عندما انكشفت أمامي الحقائق الجرداء ورأيت فقر الهنود
اضطرب قلبي وتحطم ... وانزعجت في أحلامي .. واضطربت في تخيلاتي -

وبدأت أشك في حقيقة وجودنا .. كيف أستطيع أن أفكر بأن الهند
هى التى أبقت على حياة الانجليز وأعطتهم كل كنوزها ؟ .. هذا هو
الإجرام بعينه .. وهذه هى القرصنة بعينها .. كيف يسرقون الهنود
العزل من ثرواتهم وكنوزهم ومناجمهم .. كيف .. لست أدرى .. لا أكاد
أنصور هذه الجريمة وهذا الحال - كنت أظن أن الحضارة لا تتمثل
إلا فى الانجليز الجنس الممتاز .. نخاب أملى فيهم وفى حضارتهم .. ،

لقد زرت اليابان وروسيا وإيران وغيرها من البلاد وشهدت
الحضارة كما يجب أن تكون .. لقد تحررت إيران من سطوة الغرب ،
وتخلصت من سلطان السياسة الأوروبية .

• تحت سلطان الانجليز المميت عاشت الهند فى القاع السحيق ، كانت
حضارتها قديمة كحضارة الصين التى أفسدها الانجليز ، ويالهم من قوم خبيثاء .
شوهوا جمال الاشياء ، ومسخوا الحقائق ، كنت أرى الانجليز فى الماضى
الغابر قوما شجمان يهبون لنصرة الغريب ، أما اليوم فأراهم وقد حطت
السنون من قدرهم ومزقهم طاعون الشر .

• إن عجلة الزمن سريعة الدوران ، ولا بد لها أن تجبر الانجليز فى يوم
قريب على أن يتركوا الهند لأهلها الشرعيين . ولكن أى هند هذه التى
سوف يتركونها . مهلهلة . مجردة من الخيرات .. تثن من الفقر والجهل
والمرض . وإذا ما غضب معينهم فى يوم من الايام فانظروا ماذا سيتركون
وراءهم . العار والدمار .

• كنت أظن أن ربيع الحياة هو فى قلب أوروبا ، .

أما اليوم وأنا على وشك الرحيل من هذا العالم فإن هذا الظن قد
تبدد وتحطم على صخرة الحياة .

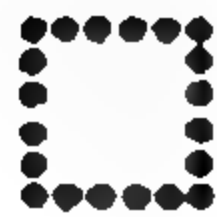
أن أمل اليوم أن يهب المريض من فراشه ومن الشرق تخرج رسالته
إلى العالم كله لتملأ قلوب الرجال بالامل والحياة .. فإذا نظرت ورأيت
فلا أرى غير الخراب والدمار أو مخلفات الحضارة الانجليزية .

ومع هذا فلن أفقد أمل في الرجال .

قد يأتي الفجر من الأفق البعيد .. من الشرق حيث تشرق الشمس
على الدوام .

وسياتي اليوم عندما يسيطر فيه رجل الشرق على المكان والزمان
ويجدد مجده وحضارته .

سيأتي اليوم الذي يحطم فيه الشرق قوى الغرب وينتصر انتصاراً
مبيناً ...



رحلات طاغور

كان طاغور كأبيه محباً للأسفار، والتجول في البلاد . فقد زار معظم بلدان العالم ، وهدفه في ذلك دراسة طبيعة هذه البلدان والتعرف على آدابها وآثارها والاغتراف من مناهل حضارتها وفلسفتها .

وفي عام ١٩١٦ زار اليابان وألقى فيها عدة محاضرات كان أهمها « روح اليابان » ، و « رسالة الهند إلى اليابان » ، أخذ في هاتين المحاضرتين بالذات على اليابان وحذرهما من الاستعماريين وما يجلبونه على البلاد الآمنة من شرمستطير . وإن الاستعمار هو إلا ما تمنحست عنه حضارة الغرب من وباء فأنك مريع . . . رام يلق طاغور أى ترحيب في اليابان لصراحته النادرة . وحدث نفس الشيء عند زيارته لأمريكا ففي رحلته الأولى للولايات المتحدة الأمريكية استقبل بترحيب بالغ كفيلاسوف ومعلم عظيم ولكن في زيارته الثانية عام ١٩١٧ لم يرحب به الأمريكيون عندما ألقى فيهم محاضراته المشهورة عن « تقديس النومية » ، حيث ثار فيها على الاستعمار وكشف نواياه .

وضجت الجرائد الأمريكية وسخطت على طاغور وما ينقشه من « سموم » ضد الغرب المستعمر .

وحاول طاغور زيارة أمريكا لثالث مرة فأبرق الهستير بوند رئيس

لجنة الادب الامريكى فرد عليه بوند معتذراً بالنسبة إلى ما تركته خطابه
ومحاضراته من أثر في نفوس الامريكيين الذين كانوا يتعصبون للمستعمرين
الانجليز وغيرهم من مستعمري أوروبا . ولم يعر طاغور هذا الاعتذار
التفاناً لأنه كان أول من يعلم بأن الحقيقة دائماً تكون مرة المذاق .

وأصر طاغور على السفر إلى أمريكا مرة ثالثة ليسمعهم رأيه مرة
أخرى في المستعمر وما يجره على البلاد الآمنة من خراب ودمار . . لكي
يستمعوا إلى قضية الشرق عليهم يفتهمون .

وتحدث طاغور في هذه المرة الثالثة في نيويورك وكان موضوع
الحديث : تقابل الشرق مع الغرب ، وأوضح لآلاف المستمعين بأن قوة
الروح هي الشماع الوحيد الذي ينير في ظلمات الحياة وكل القوى الأخرى
تضاهل أمامها .

وزار طاغور الصين عام ١٩٢٤ وعقد فيها اجتماعين هامين كان
الأول لليابانيين ونظام الثاني جماعة الانجليز والامريكيين وفي الاجتماع
الآخر أوضح وجهة نظره ورأيه بصراحة في الاستعمار ومبادئه ومدى
تأثيره على اليابان نفسها . وفسر للحاضرين كيف أن تجميع الثروات مبدأ
من مبادئ الاستعمار الغربي وكيف أن اليابان نفسها قد أصبحت عرضة
له . وفي الاجتماع الثاني تكلم في نفس الموضوع وكانت النتيجة أن ثارت
هذه الجرائد الانجليزية والامريكية وحتى الصينية نفسها لأن حضارة الغرب
في نظرها كانت المورد الوحيد لتحقيق أحلامها .

وفي عام ١٩٢٠ ، عندما زار طاغور لندن ليرد نياشينه إلى الانجليز
قوبل بفتور ولكنه قوبل في بلاد أخرى متعددة بترحيب حار يفوق ،
الوصف والحق يقال أن شاعراً في العصر القديم أو العصر الحديث لم يلق
مالاته طاغور من مجد وتشريف سواء كان ذلك في الشرق أو الغرب .

لم يكن طاغور ليهتم كثيراً بترحيب الناس أو عدم ترحيبهم له
لأنه كان دائماً يحمل مشعل الحرية ويدافع عن الإنسانية . . لم يجد
طاغور عن طريق الحق والشرف طول حياته . .

شرفته الأمم بتوجيه الدعوة لزيارتها في عدة مناسبات هامة وتسابق
أدباء العالم وشعراؤه وفلاسفته بالترحيب به في كل دعوة وجهت إليه
ففي باريس رحبت به الشاعرة الفرنسية المعروفة دي نواي

وفي إيطاليا عام ١٩٢٦ رحب به موسوليني ترحيباً حاراً قال فيه
هذه أعظم فرصة لأرى فيها بنفسى أعظم رجل في العالم ، . وفي لندن
أعجب به جورج برنارد شو وغيره من كبار كتاب الانجليز . وفي الترويج
قام الملك بنفسه لإستقباله وفي مصر عقد البرلمان أشريفاً وتكريماً لمقدمه .

ورفض طاغور زيارة كندا لأن العمال الهنود كانوا يعاملون بها
معاملة مجردة من كافة مبادئ الإنسانية .

وزار طاغور الاتحاد السوفيتي وأعجب إعجاباً كبيراً بالتقدم العظيم
هناك . . وفي إحدى خطابه في موسكو قال : إن المفكر والثوري لها

أثرهما الكبير في الحياة . فن المؤكد أن الطريق لكل منهما مختلف ولكن
مثلها العليا واحدة . .

وزار طاغور إيران عام ١٩٣٢ بدعوة خاصة من حكومتها واحتفل
بها بعيد ميلاده الثاني والسبعين .

حقاً لقد عاش طاغور حياته يبشر الناس برسالة السلام والحرية
ويترجم للغرب المعاني الدفينة في أعماق الشرق ، والعنصر الوجداني في
حضارته المتأصلة في كيانه القديم .

عرض سريع لآثار طاغور

ترك طاغور آثاراً هامة بعد موته فنذ حدائته وهو يقرض الشعر ويكتب أجود النثر ، ويقص على الناس أحسن القصص ، ويبقى على العالم أروع المحاضرات في علم السياسة والاخلاق .. وكلها مراجع قيمة للادباء والشعراء والفلاسفة والعلماء في كل عصر وفي كل مكان .

كان طاغور أحد المؤلفين الكبار الذين أجادوا كتابة الادب بلغة أخرى غير لغة بلاده ..

وتتلخص أروع آثاره في الشعر في كتبه : قربان الاغاني ، والبستاني والهلل . فالكتاب الاول يحتوي على مجموعة من الاشعار الروحانية مكتوبة باللغة البنغالية ألفها الشاعر في عزلة ويقول في ذلك : كُتبت هذه الاشعار في وحدتي وأيام حزني . . . كتبتها لنفسى وعندما وجدت أنها سوف تفيد الناس وافقت على نشرها بالبنغالية وفي إحدى زياراتي لانجلترا ، وأنا في دور نقاهتي بعض مرض خطير ، بدأت أترجمها باللغة الانجليزية . وكان كتابة هذا اول كتاب ينشر في الغرب جلب لصاحبه شرفاً رفيعاً وحظاً عظيماً .

أما الكتابان الثاني والثالث فقد طبعهما باللغة الانجليزية مباشرة بعد كتاب الاغاني وهما مجموعتان في الشعر الروحاني وبراءة الاطفال .

وكتب طاغور أيضاً « هدية الحبيب » و « العبور » يتفق فهما
بالربيع وخريف الحياة .. ثم « قطف الثمار » و « الهارب » يتحدث
فيهما طاغور عن الماضي السحيق ..

ومن رواياته النادرة « شيترا ومكتب البريد وجورا » ورواية
شيترا نصف امرأة مثالية ضحكت في سبيل حبيبها .. أما مكتب البريد
فهى قصة طفل مريض جالس إلى النافذة يحس كل من يمر عليه وينتظر
رسالة من الملك ..

أما جورا قصة طويلة تبحث في عقائد المجتمع الهندي في العصر
الحديث. كتب طاغور في الدراما قصة « التضحية » وهى إحدى درره
التي ترجمت إلى معظم لغات العالم. ثم « دورة الربيع » و « ملك الغرفة
السوداء » وهما من قصصه المثيرة الممقدة وقد ترجمتا أيضاً إلى معظم
اللغات الحية .

أما كتابه « البيت والعالم » فيعطينا فيه فكرة عن الهند الجديدة أثناء
كفاحها وصراعها من أجل الحرية والاستقلال. وهذا الكتاب يقرأ حتى
اليوم بنفس الحماسة التي كتب بها .

أما « الصخور الجائعة » فهى مجموعة من قصصه القصيرة وقد لاقت
رواجاً عظيماً في الهند وفي الخارج .

ومن كتبه النثرية « السدهانا » و « الذخائر » فيعرض فيها الشاعر
للفلسفة القديمة والتعاليم الدينية في الهند ..

وأهم ما كتبه طاغور ثلاثة كتب أخرى هي «الشخصية» و«الوحدة الخالقة» و«القومية» لأنها تلمس فلسفة الجنس البشري و«الشخصية» مجموعة من مقالاته كتبت في اليابان وأمريكا عام ١٩١٦ ، وتشمل آراءه الفلسفية للشخصية البشرية .. أما «الوحدة الخالقة» فهي مجموعة محاضرات ألقاها الشاعر في أوروبا وأمريكا عام ١٩٢٠ ، ١٩٢١ في حين أن «القومية» تشمل مجموعة فذة من محاضراته التي ألقاها في اليابان وأمريكا أيضاً كشف فيها النقاب عن فظائع الاستعمار الانجليزي في الهند .

تعرض طاغور أيضاً للناحية العلمية فكتب كتابين في علم الأحياء هما «جبانسميتي» ، «وشليديلا» مكتوبان باللغة البنغالية وترجم الأخير إلى الانجليزية على يد الشاعر نفسه وأطلق عليه «ذكريات» ، أما الآخر فقد ترجمه مارجوري سايكس إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان «أيام صباي» .

موت الشاعر

هكذا وقفنا على قصة حياة هذا الشاعر العظيم ومدى تأثيره على الفكر الهندي خاصة ، والفكر العالمى عامة .. قلم يعرف أدبه البهرجة ولم يتصف شعره بالزيف، ولا كتاباته بالرياء. ولا فلسفته بالكذب. بل كان كل ما كتبه طاغور فى كل ناحية من نواحي الحياة وبكل ما يتصل بالادب والشعر والرواية والفلسفة بالواقعية المطلقة .. وإذا كان طاغور قد هاجم الغرب وهاجم الاستعمار وكان سيفاً مسلطاً على المستعمرين الانجليز ، فذلك بوحى من وطنيته الصادقة إذ يقول : « كيف تجرد الهند من ثرواتها ويترك أهلها عرايا منبوذين ؟ »

كان يدين بدين الانسانية ، الإخاء والمحبة والتسامح وكان وطنه العالم كله .. كان حبه المعرفة مصدراً لسمو أفكاره ومنبعاً لغزارة آرائه فى الحياة . كان يطمح أن يرى العالم وقد تجرد من المادية وهيمنت عليه روح المحبة والسلام ، كما عمل على محاربة الرذيلة أينما وجدت ..

إن شخصية طاغور عالمية ممتازة لا يستطيع الانسان أن يفها حقها من التقدير والتمحيص .

ويقول كتاب الغرب فى عرضهم لشخصية طاغور : « بالرغم من أننا عرفناه مدة نصف قرن من الزمان فإنه من العسير علينا أن نكشف النقاب عن شخصيته الفذة ونحللها تحليلاً دقيقاً ، .

وجاءت ساعة طاغور ، وانطفأت شعلة حياته في اليوم الثامن من شهر أغسطس عام ١٩٤١ بعد ثمانين عاماً قضاها في أرض الناس ..

الحق يقال .. لم يمت طاغور لأن آثاره وأفكاره أكبر من أن تموت .. بل استظل نوراً وناراً للعالمين .. نور يهدي ونار على الظلم والظلمة .. مثل طاغور مثل العباقرة الذين يمرون في هذا العالم على فترات متقطعة من التاريخ .

كان طاغور معلماً للبنغال والهند ، وأستاذاً لعلماء الغرب وفلاسفته وسيظل الشاعر ماثلاً في القلوب على مر القرون والأجيال ، وستظل أشعاره وأغانيه تتغنى بها قلوب البشرية مادام في الدنيا عمران .

من روائع طاغور

- الجذور أغصان في الأرض ، والأغصان جذور في الهواء .
- أيتها الصخور .. أن لعنة النجوم تبعثك إلى الأرض .
- إن الإنسان أفتك من الحيوان إذا أنقلب حيرانا .
- يوزع القمر نوره على السماء ، أما نقطة السوداء فيحتفظ بها لنفسه .
- إن الكلمات النابية تؤذى صاحبها فطهر نفسك بالصمت .
- لا تلم طعامك ، لأن لاشهية لك .
- عندما تعبر الشمس المحيط الغربي ، تترك تحيتها الأخيرة إلى الشرق .
- يقول الشلال وجدت أغنيتي ، لأنني وجدت حررتي .
- أيها القمر ماذا تنتظر ؟
- أنتظر الشمس لأحييها وأفسح لها الطريق .
- إن طيور الربيع تأتي إلى نافذتي وتصدح ، مرثمة أما أغصان الخريف الصفراء فتتساقط تحت نافذتي بالية مأوثة .

* * *

- يخلع العالم قناعه الفسيح المتسع ويعطيه لمحبيه، ولكنه يصبح صغيراً
كأغنية واحدة ، كقبلة واحدة للخلود .

- إنها دموع الارض التي تجعل الزهرة تبتسم عندما تتفتح .

* * *

إذا زرفت الدموع لأنك فقدت الشمس، فأنك ستفقد النجوم أيضا .

* * *

- حلينا ذات مرة أننا غرباء وعندما استيقظنا وجدنا أنفسنا أعزاء لبعضنا البعض .

* * *

- أجلس إلى نافذتي في الصباح حيث أرى العالم وهو يمر فادارآني
توقف لحظة وأوما إلى برأسه ثم ذهب لحال سبيله .

* * *

- أنك لا ترى ما بداخل نفسك ، ولكنك ترى ظلك فقط .

* * *

- لا يمكنني اختيار الاحسن ، ولكن الاحسن هو الذي يختارني .

* * *

- أن الراحة لازمة للعمل كما أن الجفون لازمة للعيون .

* * *

- يولد الرجل طفلاً وقوته هي قوة النمو .

* * *

- أن الزهور التي يرسلها الله ، ليست للشمس ولا للأرض ، بل هي
لنا والله يتوقع منارداً عليها .

* * *

- أن قلبي يضرت موجاته عند شاطئ العالم . ويوقع عليها بدموعه
« إني أحبك » .

* * *

- إن الأشجار تصعد إلى نافذتي مثل الصوت الوليد للأرض الخرساء .

* * *

- تجد الحياة ثروتها من متاعب العالم ، كما تجد قيمتها من متاعب
الحب ..

* * *

- يرغب الطائر كما لو كانت سحابة ، ويغيبها السحابة كما لو كانت طائراً .

* * *

- أيتها المرأة عندما تتحركين في منزلك، دعي أطرافك تقني كما صفة
فوق تل وسط حصاه .

لقد ابتسمت وتكلمت الى عن لاشيء ، ولهذا شعرت أنني انتظرت
طويلا ..

* * *

- يعزف العالم على أوتار القلب المتوائى بموسيقى حزينة هادئة .

* * *

- جعل الانسان من أسلحته آلهة له ، وعندما تنتهر هذه الأسلحة
يكون قد هزم ..

* * *

- ان قدرة الخالق في خلقه ..

* * *

- ان النجوم لا تنجل من أن تبدو كالحباحب والذباب المنير ..

* * *

- أحبك لأننى لست من عجلات القوة، ولكتنى واحد من المحلوقات
الحية التى تدوسها هذه العجلات ..

* * *

- لقد منحنا الحياة .. اننا نكسبها باعطائنا اياها ..

* * *

- اننا نقرب من العظمة عندما نكون عظام في الوداعة ..

* * *

- لا تخش اللحظات القادمة .. هكذا تقول .. أغنية الخلود ..

* * *

- لتشرب نبيذى فى كأسى أبها الصديق ... فانها تفقد رغوتها عندما
تصب فى كنؤوس الآخرين .

* * *

يقول الله للرجل ، اننى أساءك لذلك أزدبك ، اننى أحبك لذلك
أعاقبك ..

* * *

- أشكر الشمعة لو هجها ونورها، ولكن لائنسى حامل المصباح الذى
يقف فى الظلام فى صبر وأناة ..

* * *

- ان الزهرة الصغيرة تصبح عندما يتفتح برعمها قاتلة . دأبها العالم
العزير . أرجو ألا تجعلنى أذبل ..

* * *

- ان الخطأ لا يتحمل الهزيمة ، ولكن الصواب يتحملها ..

- يغنى الشلال قائلًا .. اننى أعطى مياها كلها فى فرح . رغم ان قليلا
منها يكفى العطش ..



- فى وحدة قلبى أشعر يتهدد المساء الحزين وقد تمنطق بالمطر والضباب



- الضباب كالحب .. يلعب فوق قلوب التلال ويجلب لها روائع
من الجمال ..



- اتنا نقرأ الدنيا خطأ .. ونقول أنها تخدعنا ..



الأغاني لطاغور

عندما تأمرني بالغناء
يرداد قلبي صلوا وكبرياء
أفقس في وجهك فتتهدد الدهر من عيني .
كل هذه القسوة في حياتي تنصهر في نشوة
وينشر أعجائي جناحيه كطائر مفرح
في طيرانه فوق المحيط ..
ان غنائي يشجيك .. وأنا أغني .
بمس جناح غنائي طرف قدمك الذي لا أستطيع أن المسه .
سكرت بنشوة غنائي
وفسيت نفسي ودعوتك صديقي
يا من أنت سيدي والهي ..

* * *

لست أدري كيف تقى ياسيدي
لاني أنصت في سكون وإعجاب
فقر موسيقاك يهر العالم
ونفوة الحياة في موسيقاك

تجهرى من السماء إلى السماء
ومجرى موسيقاك المقدس
يحطم الحصى والرمال
ان قلبي يهفو أن يقف معك
ولكن . . لا يصدر عنه صوت
آه . لقد سمعت قلبي في شباك موسيقاك
اللانهاية يا سيدى

* * *

دعوتنى الى حفل الحياة
وباركت حياتى .
ورأت عيناى وسمعت أذناى .
وجاء دورى ولعبت على قيثارتى
والآن جاء الوقت لأسألك الرحيل
لأرى وجهك ذو الجلال
وأقدم سجودى فى صمت وجلال .

* * *

تراكم السحب على بعض أفلاك ظلام
أيها الحب لماذا تتركنى هكذا على الباب
فى غمرة الحياة أتوه فى الزحام
ولكن فى هذا اليوم المظلم أقف وحيداً أنرجاك

فإذا لم ترين وجهك يارب
وإذا تركتني واقفاً وحيداً يارب
فلست أدري كيف أمضى هذه الساعات تحت وابل من المطر المنهمر
سظل واقفاً أرقب السماء
وينهل قلبي من صوت الريح الصرصر العانية

* * *

إذا لم تجبني يارب
فسأغمر قلبي في صمت مطلق
وسأظل واقفاً مثل الليل في صبر عميق
وسينباج الصبح . . وتتبدد الظلمات
وينهر الصوت الذهبي من بحري السماء
وتتسريل الكلمات بأجنحة الاغاني من كل طير في السماء
وتتساقط أغانيك كالزهر والريحان في غابتي الدكناء .

* * *

هأنذا واقف على الأرض الفسيحة
وقد فقدت الخوف والرهبة
وعرفت أنه في هذا العالم
لا بد لي من رسالة أوديتها
والى أرض الوطن انتميت

وقلت ویدی متشابکتان
اقبلی یایمی هذه الحیاة کلها
التي کرستها لك دون منازع

* * *

یا إلهی إذا أغلق باب قلبي
فحطم ذلك الباب
ولا تترکني
یا إلهی . إذا لم یترنم أحد باسمك
فی يوم من الأيام علی أوتار القيثارة
فانتظرنی یارب ولا تترکني
یا إلهی إذا لم أستهیظ علی صوت ندائك
فأیقظنی یارب بشدة
ولا تترکني ..

* * *

أفكار لطاغور

أمى . . .

.. رأيتنى فيما يرى النائم ، وقد ارتددت صدياً كما كنت يوم أن
تركنتى أمى ، ميممة شطر عالم آخر أفضل وأعز .. وقد توسطت حجرة
صغيرة من بستان تفوح أزاهيره فتعطر ضفاف نهر الجانجز فررت عليها
غير مكترث بها .. ولكن شموراً خفياً ألهب خاطرى فجأة كأنه وقع
السياط ، فتقدمت نحوها فى رهبة ، وانحنيت فى خشوع حتى لاسف
رأسى قدمها . فأسرعت أمى وتناولت يدى ، ونظرت طويلاً فى وجهى ،
ثم تمتدحت فى حنان ، أزكى من ثورة العاطفة . « ها أنت قد عدت .. »
فأشبه الليلة بالبارحة ، فنحن فى هذا العالم الطاغى الصاخب ،
نمرمر الكرام على أمهاتنا ومن جلوس فى أماكنهن ، لا نطمع منهن
فى شئ غير طعام يهيئنه لنا كذا خويت بطوننا ، وأسرة يهدنها لنا
كلها طغى علينا سلطان النوم ونحن أحوج مانكون إلى لمساتهن الطاهريه
وأصواتهن الملائكية المتهذقة حنايا ، وهى تنبعث خالصة من نفوسهن ..
إن تيار الزمن يسوقنا أمامه ، ولكننا لا نقرب إلى نفوس أمهاتنا
المقدسة مثل هذا الصوت الحنان واللحن الخالد وهو ينبعث من أعماق
نفس أمى عندما حدثت فى .. ها أنت قد عدت ...

هبة الله

إن أعظم فرصة في الحياة هي أن تكون قادراً على أن تقدم قربانا للرب .. إننا نعيش في عالم الله ولكننا ننسأه .. ذلك أن الرضى الاعمى من جانب واحد لا يهدى الى الحقيقة .. إنها صحراء تنلقى الكثير من الأمطار ولكنها لا تعطى ثمرة واحدة مقابلها .. إن عالم الله قد أعطى لنا ، وعندما نقدم عالمنا لله ، فإن الهبة تكون قد تحققت .

* * *

الحرية

إن عزيمتنا تبلغ كمالها عندما نحب ، لأن الحب هو الحرية الحقيقية وليس معنى الحرية الابتعاد عن المقاومة .. إنها تقبل العبودية ، لأن العبودية ، لا ترتبط بها ، ولكنها تقيس حقيقتها فقط ... إن عدم الاستعباد هو التوقف عن أداء الخدمة .. ولكن الحرية هي في الخدمة نفسها ..

يقول شاعر فلاح من البنغال . أن نهاية الحب ليس الشقاء أو السعادة بل في الحب نفسه لأنه يربط الجماعات بعضها ببعض . أن الحب يعطى الحرية

* * *

الله

الله في عالمه وحبنا له ينام في قلبنا في سواره العميق. وأن هذا القلب ليصحو عندما يستيقظ حبنا ، وربما يبدو متناقضا أن نقول أننا لا نشعر بحبنا ، ذلك أننا لا نشعر بالحقيقة من أن الأرض تحملنا وتدور بنا حول الشمس . ولكن الحقيقة هي أن أجزاء طبيعتنا ليست كلها مضيئة وفي معظم الحالات فأننا نمتلك المعرفة السريعة عن أنفسنا فقط من الناحية السطحية حيث تشغل عقولنا حاجاتنا المؤقتة وما نحتاج إليه حياتنا .

الثروة

الثروة هي رمز القوة . . لذلك فإن على الثروة أن تتحرك وتطفو كي تكون كاملة . . ذلك فإن نشاط القوة هي الحركة نفسها ولكن الحركة المجردة هي السطحية لذلك يجب أن تكون الحركة نامية وكاسية . . وهذا الكسب ليس فقط الشيء الذي يتحرك بل الذي يتبقى .

إن أعظم الفة للحركة والراحة هي في الحياة الروحية ، التي يكون الحب عيرها . ليس حب الله وحده ، الحب بكل معانيه هو أعظم ما يحققه الانسان . عندما تباغ القوة نهايتها فإنها تقف لتسمى بعناية كنوزها . وعندما يصل الحب نهايته فإنه يصل لأنها ثيته ولا يخاف أحداً . .

الغنى والفقر

الفرق بين رجل غنى ورجل فقير ، هو أن الاول يمكنه أن يملأ
الامكنة الفسيحة في منزله . قد يكون الاثاث الذى يزين به منزله له
قيمتة ولكن المكان الذى يجعل منه فناء لمنزله أو حديقة فسيحة الارجاء
هو لاشك أثمن وأغلى قيمة . . متجر التاجر قد يكون عادة مزدحماً
بالبضائع ، وهو فى منزله يسخر بعدم انتفاعه بطول وعرض وارتفاع
حجراته . . وقد لا يذكر شيئاً عن اتساع حديقته . . ولكنه يهتم أولاً
بالشرف . وهذا هو ما يجعله غنياً . .

ليس فقط المكان الفسيح الشاغر له قيمة ، بل أن وقت الفراغ هو
أكثر قيمة . أن الرجل الغنى يمكنه أن يشتري وقت الفراغ بماله . أنه فى
الواقع اختبار لقوة شرائه ، اختبار لقوته فى الابقاء على كافة وقت فراشه
التي لا شك تريد أجباره على الانتفاع بها .

وهناك مكان آخر قد يكون اتساعه هو ثمن شيء فى العالم أنه العقل
مصدر الفكر . أن أفكار الفقير والبائس تتعلق بعقولها كما تتعلق شجرة
البلاب بالمعبد المحطم .

أن الالم يسد الطريق على تفتح الذهن وتفتحه كما أن الصحة يمكن

تعرضها بالحالة التي يرقد فيها الضمير الحى فى مكان فسيح فيشعر بصحة
لأنهاية لها .

وكما لا يمكن للشخص أن يعيش فى عظمة بدون فراغ فإن الطفل
كذلك لا يمكنه أن يفكر إلا فى وقت فراغه . . . مثله مثل الضوء
اللباهت فإنه يحرف النظر ، ويشجع على الخوف ، ويحافظ على تباعد
حقل المباشرة بين الإنسان وأخيه الإنسان . . .

كتب ثقافيه

صدر من هذه المجموعة

رقم الكتاب	اسم الكتاب	رقم الكتاب	اسم الكتاب
١٣ -	في المقهى (قصص جزائرية)	١ -	حكايات جحا
١٤ -	سحابة صيف	٢ -	أحاديث جدتي
١٥ -	طبيب البيت	٣ -	وشم الوردية
١٦ -	شهر العسل المر ج ١	٤ -	كليلة ودمنة
١٧ -	شهر العسل المر ج ٢	٥ -	يحكى أن وقصص أخرى
١٨ -	نزوات ماريان	٦ -	قصص من الشرق والغرب
١٩ -	نهج البلاغة ج ١	٧ -	الفتوة
٢٠ -	نهج البلاغة ج ٢	٨ -	فلاسفة وجواديون
٢١ -	نهج البلاغة ج ٣	٩ -	أبنائي جميعاً
٢٢ -	الصواريخ والأقمار وغزو الكون	١٠ -	المحاسن والاضداد ج ١
		١١ -	المحاسن والاضداد ج ٢
			مذاهب النقد الأدبي

رقم الكتاب اسم الكتاب

٢٣ - تليفزيون للجميع

٢٤ - هنري الرابع

٢٥ - العالم المفقود

٢٦ - رحلة إلى القمر

٢٧ - طبائع الاستبداد

٢٨ - هكذا عشنا

٢٩ - عبقرية محمد ج ١

٣٠ - عبقرية محمد ج ٢

٣١ - من قصص شكسبير

٣٢ - ابن بطوطة ج ١

٣٣ - ابن بطوطة ج ٢

٣٤ - عبقرية الصديق

٣٥ - صور ضاحكة من نوادر البخل

٣٦ - العلم والتوكل (صور من علوم أحياء الدين)

رقم الكتاب اسم الكتاب

٣٧ - دروس في الحياة الزوجية

٣٨ - الزهاوي شاعر الحرية

٣٩ - محمد الرسول ج ١

٤٠ - محمد الرسول ج ٢

٤١ - أبو الشهداء الحسين بن علي

٤٢ - صور من الأدب الآسيوي

٤٣ - محنة الفكر في العراق

٤٤ - أعلام المسرح الأوروبي

٤٥ - في ركب الكفاح

٤٦ - حقائق أعجب من الخيال

٤٧ - الحاج عباس وشركاه

٤٨ - الإمامة والسياسة ج ١

٤٩ - الإمامة والسياسة ج ٢

٥٠ - الحركة الروائية في أوروبا

٥١ - روميو وجوليت

٥٢ - اليونان أرض الفكر والتاريخ

رقم الكتاب	اسم الكتاب
٦٩	- الطوابع الثقافية الشرقية في أفغانستان
٧٠	- دومي وولده
٧١	- خيوط العنكبوت
٧٢	- الروايات الواقعية في القرن ١٩
٧٣	- نحن العرب
٧٤	- ١٠ مسرحيات عالمية
٧٥	- قبض الريح
٧٦	- وجهان للخطيئة
٧٧	- قصص من اليابان
٧٨	- عاصفة من أفريقيا
٧٩	- كتابنا في طفولتهم
٨٠	- إبراهيم الثاني
٨١	- رحلة إلى سيلان
٨٢	- ربيب الحرية
٨٣	- يوميات قيصر
٨٤	- رواد النهضة العربية
٨٥	- ع الماشي

رقم الكتاب	اسم الكتاب
٥٣	- الشخصية العربية في الادب والتاريخ
٥٤	- بيرانديللو
٥٥	- الحياة في عهد الفراعنة
٥٦	- الحاجة إلى الموت
٥٧	- أثر الترجمة في حضارة العرب
٥٨	- معارك عربية
٥٩	- شعراء الحب
٦٠	- الانسان العربي
٦١	- جاء الخريف
٦٢	- إبراهيم الكاتب
٦٣	- علماءنا العرب
٦٤	- الشاعر أبو تمام
٦٥	- صندوق الدنيا
٦٦	- قواعد العقائد للغزالي
٦٧	- سجين زندا
٦٨	- المجتمع العربي في العصور الوسطى

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

تعلن هيئة قناة السويس عن حاجتها لتوريد ٥٨٠٠ طن ستائر حديدية وملحقاتها حسب الشروط والمواصفات التي يمكن الحصول عليها من مقر الهيئة قسم التمويل بالاسماعيلية نظير خمسة عشر جنيها مصريا لكل نسخة ، ويمكن ارسالها بالبريد مقابل مائتي مليم اضافية

تقدم طلبات شراء المناقصة على ورقة دمغة فئة خمسين مليما الى قسم التمويل بالاسماعيلية .

تقدم العطاءات باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتخب بالاسماعيلية في موعد غايته الساعة الثانية عشرة ظهرا يوم ١٩٦١/٦/٦ مصحوبة بتأمين ٢٪ من قيمة العطاء

ان يلتفت الى العطاءات التي ترد بعد الموعد المحدد او بدون التأمين او غير الموضحة اعلاه .

الدار القومية للطباعة والنشر

روايات عالمية

تقدم يوم السبت القادم
٢٠ مايو سنة ١٩٦١

مُحَنُّ المِطْطِية

قصة انسانية فذة رائعة الحوادث

للكاتب الفرنسي الكبير
جى دى كار

تعريب

الاستاذ محمود مسعود

لاول مرة باللغة العربية

التمن ٣٠ مليما

التمن ٥ قرش

العدد ١٠٠

صدر يوم الخميس ١٨ مايو ((آيار سنة ١٩٦١))

الدار القومية للطباعة والنشر
شركة ذات مسئولية محدودة
٣٠ شارع منصور القاهرة